الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد أكلي محند أولحاج

–البويرة–

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية .

قسم: التاريخ

جامعة البويرة

Ministre de l'Enseignement Supérieur
Et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj
-Bouira-
Tasadawit Akli Muhend Ulhag -
Tubirett-
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

الحياة العلمية والثقافية في إقليم الزيبان خلال العهد العثماني (1519 _1830)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث 1519– 1830

إعداد الطالبة:

– العيفاوي نسيمة خديجة

تحت إشراف الأستاذ

– زيدين قاسيمي

السنة الجامعية: 2021-2022

الاهـدا ء

إلى من أفضلها على نفسي، ولم لا فلقد ضحت من أجلي، ولم تدخر جهداً في سبيل إسعادي على الدوام، أمي الحبيبة.

نسير في دروب الحياة، ويبقى من يسيطر على أذهاننا في كل مسلك نسلكه، صاحب الوجه الطيب، والأفعال الحسنة، فلم يبخل علي طيلة حياته، والدي العزيز.

إلى أصدقائي وجميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون وفي أصعدة كثيرة، الى رفقاء الدراسة وكل من عرفناهم، الى زميلاتي و زملائي والى اساتذتي الاعزاء، الى بنات عمي اللاتي كن خير سند في كتابة مذكرتي، روميساء و صارة.

الى أخي و زوجته و الكتكوت محمد، الى المشاغبة فرح، أقدم لكم عملي المتواضع وأتمنى أن يحوز على رضاكم، والله ولي التوفيق.

العيفاوي نسيمة خديجة

مقدمة

مقدمة:

تعتبر منطقة الزيبان إحدى المناطق الجزائرية العريقة التي عرفت خلال تاريخها الطويل نشاطاً حيوياً على مستوى كافة الأصعدة السياسية، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث ظهرت بها العديد من الحواضر امتدت عبر تاريخها الطويل.

لقد أسهمت منطقة الزيبان وبشكل فعال في اثراء التراث الثقافي الحديث والانساني من خلال نشاط رجالها وعلمائها وتواصلهم بالحواضر الكبرى.

وقد كان للتحولات التي نجمت عن الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية أثرا كبيرا على الجزائر عامة ومنطقة الزيبان خاصة لا سيما على جل مناحي الحياة، في الوقت الذي عرف فيه المجال الثقافي والعلمي في منطقة الزاب استمرار من حيث المظاهر والوسائل.

لقد عرفت المنطقة العديد من المؤسسات العلمية والدينية منها المساجد والزوايا؛ حيث كان المسجد المؤسسة الدينية الأولى الذي ساهم في نشر الوعي للحفاظ على الدين، كما أدت الزوايا أدواراً كبيرة في نشر التعليم ومحاربة الجهل.

كما تحتل المنطقة مكانة استراتيجية من الناحية الجغرافية تاريخياً حيث تعتبر همزة وصل بين الشمال والجنوب، كما أنها كانت محل استقطاب لكثير من الرحالة والعلماء ولعبت أدواراً مهمة عبر تاريخها الطويل ولذلك لقبت ببوابة الصحراء، اضافة الى احتوائها على مجموعة من الخيرات والثورات التي أهلتها لأن تكون محل استقطاب العديد من القبائل والأجناس امتزجت لتشكل تنوعاً حضارياً متجانساً وارثاً ثقافياً متنوعاً.

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن حصرها في أسباب موضوعية وأخرى ذاتية شخصية وهي كالآتي:

1. قلة الدراسات في هذه الفترة بالذات مما جعل البعض من غير التخصص الخوض في الدراسة دون الرجوع الى منهجية البحث التاريخي.
2. محاولة سد الثغرات التي لم يتطرق لها الباحثون في أغلب الدراسات فمعظم من درسوا التاريخ العثماني كانوا يتطرقون للجوانب السياسية والعسكرية مهملين الجانب العلمي والثقافي.
3. رغبتنا الشخصية والملحة لدراسة التاريخ المحلي الحديث والوصول ولو لمجموعة من المعلومات التي تساعد على اثراء تاريخ المنطقة بعيداً عن العاطفة.
4. ويجدر بنا التوضيح أن حديثنا عن منطقة الزيبان يخص الفترة العثمانية الممتدة من 1519-1830و إن لم نكن تطرقنا الى كل الجوانب لأنها كثيرة ومتعددة

أهمية الدراسة وأهدافها:

ان تتبع مسار تاريخ منطقة الزيبان منذ 1519 الى غاية 1830 ودخول الاحتلال الفرنسي لها في 1844 واستعراض أهم مظاهر الحياة العلمية والثقافية لسكان منطقة الزيبان له أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية الحديثة، كما يقدم لنا صورة عن الحياة اليومية ونشاطات سكان المنطقة.

وتهدف هذه الدراسة الى:

1. اثراء المكتبة الجزائرية بكتابات حول منطقة الزيبان.
2. الحفاظ على الميراث الثقافي لمنطقة الزيبان خلال الفترة العثمانية (1519-1830)
3. التعرف على أهم النشاطات العلمية والثقافية من علماء وعادات وتقاليد وغيرها.

4. المساهمة في كتابة تاريخ منطقة الزيبان بنظرة موضوعية.

الإشكالية:

من خلال دراستنا الموسومة بـ " الحياة العلمية والثقافية في إقليم الزيبان خلال العهد العثماني (1519 _1830) " التي تعالج مسألة الحياة العلمية والثقافية مع الخوض في بعض تفاصيلها ومحاولة ربطها ببيئة المنطقة ومحاولة كشف جوانب من الحياة اليومية وهي الاشكالية التي تنطوي تحتها جملة من التساؤلات التالية التي سنحاول ان نجيب عنها للوصول لنوع ما من المعرفة لما كانت عليه المنطقة في هذه الفترة:

- كيف كانت جغرافية المنطقة قبيل العهد العثماني؟
- فيما تتمثل مظاهر الحياة العملية ودور العلماء في منطقة الزيبان خلال الفترة الممتدة من (1519 _1830) ؟
- ما طبيعة الحياة الثقافية لسكان المنطقة الزيبان خلال الفترة العثمانية؟
- ماهي العادات والأنشطة اليومية لسكان الزيبان خلال الفترة العثمانية؟

المنهج المعتمد:

لقد تطلبت دراسة موضوعنا الإعتماد على:

المنهج التاريخي الوصفي من خلال عرض ووصف الحوادث التاريخية التي تعاقبت على منطقة الزيبان وذلك من خلال تقديم مظاهر الحياة العملية والثقافية والمؤثرات التي ساعدت في ارقاء تاريخ الزيبان الاجتماعي والحضاري ووصف مظاهر الحياة اليومية للسكان وذلك من خلال تقديم مقاربات موضوعاتية لها.

خطة الدراسة قسم العمل الى ثلاث فصول واردفناها بخاتمة ومجموعة من الملاحق التي لها علاقة مباشرة بالمتن.

الفصل الأول تم التطرق فيه الى جغرافية منطقة الزيبان وخصائصها الطبيعية اضافة الى أهم المدن التي كانت تشكل كيان هذه المنطقة، من أهمها: بسكرة، بادس، وطولقة، تهودة، وغيرها.

أما الفصل الثاني فقد خصص لدراسة الحياة العلمية والثقافية للفترة الممتدة بين (1519_1830) ، وتم الحديث فيه عن التعليم في هذه الفترة وطريقته، بالاضافة الى انتشار المساجد والكتاب، بالاضافة الى الجانب الثقافي الذي يعرض العادات والتقاليد في الزيبان، متمثلة في الاحتفالات الدينية والاحتفالات والمناسبات الاجتماعية، وتمثلت في الزواج والختان، اضافة الى الأنشطة اليومية التي كان يمارسها سكان الزيبان، فضلا عن ذلك بعض الأنشطة كالشعر والفنون وغيرها.

أما الفصل الثالث والأخير لدراسة العلماء في الزيبان والمؤثرات العلمية التي كان لها دور كبير في إثراء تاريخ المنطقة بالاضافة الى الدور الهام والفعال للزوايا اضافة الى تعددها كزاوية العزوزية طولقة الزوايا العثمانية.

وانتهت الدراسة بخاتمة والتي كانت عبارة عن مجموعة من النتائج المتحصل عليها.

المصادر والمراجع المعتمدة:

أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي خاصة الاجزاء (الأول –الثالث – الخامس)، بالاضافة الى فوزي مصمودي الزاب –المصطلح والدلالات، وايضا عبد الحليم صيد –أبحاث في تاريخ الزيبان، أبو عبيد الله البكري المسالك والممالك الجزء الأول، وغيرها كثير الذي أفادنا في دراسة الجوانب المتعلقة بالبحث وذلك بتناوله التاريخ المحلي للمنطقة.

ولم تخل دراستنا من المصادر الأجنبية نذكر أهمها:

Félix Haufart, au pays des palans Biskra 1897

والذي وصف في تقريره بشكل مفصل كل مظاهر حياة الفرد الزيباني، وأيضا نذكر:

S H Leeder the desert gateway biskra and lhebauts

وهو رحالة انجليزي ركز على يوميات الفرد الزيباني.

كذلك تم الاعتماد على مجموعة من الدراسات السابقة التي غطت بعض من جوانب البحث نذكر منها:

محمد اجرنتي، أسرة بن قانة ومكانتها السياسية والاجتماعية خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث _قسم التاريخ جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية 2005/2004

بالاضافة الى بعض الملتقيات والمقابلات الشخصية التي كان لها علاقة مباشرة بالموضوع.

صعوبات الدراسة:

ان انجاز أي عمل لا يتم دون أن تعترضه بعض الصعوبات من بينها، قلة المراجع الأكاديمية، فالمراجع التي تتناول الحياة العلمية والثقافية في اقليم الزيبان تعد على الأصابع وهي إما مقالات أو كتابات لرحالة أوروبيين، كذلك صعوبة التوفيق في ذكر حيثيات الدراسة والخوف من التقصير فيها من جهة والمدة لانجاز المذكرة من جهة أخرى، بالاضافة الى صعوبة ترجمة الكتب للغة الأجنبية التي تتطلب المزيد من الجهد والوقت.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات، إلا أن ذلك لم يقلل من اصراري في إكمال البحث بعون الله وتوفيقه استطعنا ان ننهيها ولاندعي بأن الدراسة قد استوفيت حقها بل هو مجهود متواضع لعله يكون خطوة علمية الى الأمام والذي يتمثل في اثراء تاريخ منطقة الزيبان العلمي والثقافي راجيين من الله تعالى ان يلقي هذا العمل القبول والسداد.

الفصل الأول

تعددت الدراسات التاريخية والجغرافية عن المناطق الجزائرية خاصة صحراءها الشاسعة، ومن أهمها منطقة الزيبان العريقة بتاريخها التي تعتبر بوابة الصحراء الكبرى، تعاقبت عليها العديد من الحضارات وذلك لتميزها بموقعها الاستراتيجي الخلاب، وكونها انفردت بالعديد من الحواضر والمدن، وفي هذا الفصل سنتطرق الى معرفة هذه المنطقة ومدى أهميتها وعراقتها في الجزائر.

1_ المبحث الأول: منطقة الزيبان قبيل العهد العثماني

1-1-المطلب الأول: جغرافية منطقة الزيبان

لمعرفة هذه المنطقة يجب تعريفها وتحديدها رغم أنه اختلف في نسبها الى منطقة معينة واقليم معين بين عدة مؤرخين وجغرافيين التسمية وتحديد مصطلح الزاب.

- الزاب لغة:

لقد تناولت العديد من المصادر والمراجع التاريخية مصطلح الزاب لكنها تباينت في ضبطه وتحديد اطاره؛ فالبكري يعتبر الزاب نهران أسفل الفرات وماحولها من روابي وعامتهم يحذفون الياء ويقولون زاب.[1]

أما ياقوت الحموي يربط مصطلح الزاب بأحد ملوك الفرس القدامى الذي حفر انهار العراق وسميت بالروابي بصيغة الجمع[2]، كذلك في لسان العرب ويعتبر الزابان نهران في منطقة الفرات وجاء في قاموس المحيط زابا زوبا اي انسل هوبا اي انسل هرباً اي الماء جرى والزاب بالأندلس عدة أنها نهر بالموصل ونهر بالآربل ونهريين ملوراء وعلى كل منهما كورة ويقال الزابان،

[1] أبو عبد الله البكري، المسالك والممالك، تحقيق مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، ص 692

[2] ياقوت الحموي، المشترك وضعا المفترق صعقاً، ط2، دار عالم الكتب، بيروت، 1986، ص 330-329

والأصل الزابيان، والعامة تقول الزابان وما يجمع حولهما من أنهار والزاب التي حفرها ملك الفرس جميعاً.[1]

وحسب دائرة المعارف الاسلامية فهو من روافد نهر دجلة في شكل روابي وفي المغرب فإن (زابي) مدينة رومانية بإقليم الحضنة* كانت مقر اسقفية في القرن الخامس الميلادي، اما اسماعيل العربي حسبه : "الزاب مفرد زيبان وتطلق على المناطق المليئة بالبساتين والنخيل، كما تخترقها السواقي والأودية"[2]

ومما سبق فإن مصطلح الزاب يرتبط بالمناطق المحصورة بين الأنهار والأودية وما تشكله من أراضي خصبة صالحة للزراعة والاستقرار،[3] كما ان منطقة الزيبان نتاج مجموعة من الأودية القادمة من المناطق المجاورة

- الزاب اصطلاحاً:

قد يتبادر الى اذهان الكثير أن الزيبان هي بسكرة*، لكن تحديد وضبط اقليم الزاب فيه اختلاف بين الجغرافيين والمؤرخين، فالبكري يحدده من المنطقة الشرقية الجنوبية للجزائر وصولاً حتى الجريد وبرقة ، اضافة الى جبال الأوراس والنمامشة ومن بين مدينة طبنة* وطولقة وتهودة و الدوسن[4]، أما في كتاب الاستبصار فهي مدينة واسعة تكثر فيها المياه والانهار والعيون على طرف الصحراء تتميز بحر مناخها وكثرة نخيلها.

[1] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط5، دار صادر بيروت، 1996، ص 122

[2] اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، صِ 148

[3] عبد الحميد الصيد، أبحاث في تاريخ الزيبان، ط 1، مطبعة الوادي، الوادي، 2000، ص3

[4] البكري، مصدر سابق، ص 692

ويذهب ياقوت الحموي أبعد من ذلك، فيعتبر مدن بسكرة وتوزر وقسنطينة وطولقة وقفصة ونفزاوة وبادس وبلادريغ على التخوم الصحراوية من مناطق إقليم الزاب.[1]

وفي دائرة المعارف الاسلامية فإن إقليم الزاب يشمل بسكرة وما حولها يمتد حوالي 150كم من الشرق الى الغرب، وما بين الأربعين الى الخمسين كم من الشمال الى الجنوب، وإذا جئنا الى ابن عذاري المراكشي فالزاب من بلاد الجريد (هي بلاد ممتدة من الساحل الاطلسي لشمال افريقيا)الى تيهرت هو الزاب الأعلى، ومن طرابلس الى الى بلاد الجريد هو الزاب الأسفل.[2]

أما العلامة ابن خلدون الذي أقام فترة في بسكرة فيقول "هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب من قصر الدوسن الى قصور تنومة وبادس بالشرق والزاب وطن كبير يشمل قرى متجاورة أولها الزاب الدوسين ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة ثم زاب بسكرة وزاب تهودة وبادس وبسكرة أم هذه القرى"[3]

كما نجد أن الشيخ البشير الابراهيمي تطرق الى دراسة منطقة الزاب ايضا حيث قال زاب افريقية يمتد من جنوب مقاطعة قسنطينة من القطر الجزائري وهو اقليم يضيف تارة ويتسع تارة أخرى فقد كان في القرون الهجرية الأولى الى القرن الثامن يمتد امتداداً واسعاً حتى يشمل سهول الحضنة وحدتها الواقعة في جبال الأطلس الجنوبية وهي المسيلة ومقرة وطنية.[4]

وهذه المنطقة مذكورة أيضاً في كتاب وصف منطقة الجزائر "الزاب منطقة صغيرة أو اقليم صغير جنوب قسنطينة". كما يذكر في هذا الكتاب: "بلد الزاب وهي جزء من

---

[1] ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص 326

[2] المراكشي ابن عذارى، البيان في أخبار الأندلس والمغرب ج1، تحقيق كولان، ليفي بروفوشال، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص 5

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر والديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 510

*مقرة من دوائر المسيلة حالياً

منطقة الجزائر العاصمة، وهي مشهورة بتضاريسها ومناخها، ذات التربة الرملية التي تفتقر إلى المياه، وعاصمتها بسكرة عند سفح*جبال الأطلس. وقد تحدث الرحالة توماس شو كثيرًا عن المنطقة التي ذكر موقعها والتي تحدها ولاية قسنطينة من الشمال، وتونس من الشرق، وجارد من الجنوب، والتيطري من المنطقة الغربية. يعود ذلك إلى المراحل التاريخية التي تشهدها المنطقة، فهي واسعة النطاق للغاية.

ومن خلال ما سبق فمنطقة الزيبان لم تكن مستقرة من حيث تقسيماتها الجغرافية ومدنها ويعود ذلك الى المراحل التاريخية التي مرت بها.

2 -1-المطلب الثاني: لمحة تاريخية عن منطقة الزيبان

تتميز هذه المنطقة بتاريخها المجيد، فقد كانت موطئاً للصحابي الجليل عقبة بن نافع، وأبو المهاجر دينار وغيرهم من المسلمين الذين ادخلوا الاسلام الى هذه المنطقة وكان الفتح على أيديهم والقضاء على براثن الجهل والشرك، حيث تعاقبت على هذه المنطقة العديد من الأمم على مر العصور.

بدا الاسلام في منطقة الزاب خلال عهد الخليفة يزيد بن معاوية الذي عين عقبة على افريقيا (62هـ-681م) وهذا نظراً للدور الكبير الذي لعبه لفتحها، حيث ساهم في تجديد بناء مدينة القيروان، وواصل زحفه على الشمال الافريقي لنشر الدين الاسلامي حيث اصطحب ابي المهاجر الدينار وصديقه كسيلة[1] التي كانت تربطه بهم عداوة مقيدين بالحديد و في ذلك نوع من الاهانة وفي طريقه تغلب على خصومه البيزنطيين والبربر في عدة معارك واستولى على الأوراس ومنطقة الزاب الجزائري ومدينة تهرت[2] و لما بلغ عقبة مدينة طنجة وفتحها بعث جيشه

[1] كسيلة بن كمرم البربري، أسلم لما ولي ابو المهاجر افريقية وهو من أكبر البربر وأكثرهم حكمة، ابن الأثير الكامل في التاريخ، مج3، ص 452

[2] عمار عمورة نبيل داودة، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة، ج1، مراجعة عبد العزيز بوسفرون، دار المعرفة، الجزائر، 2009 ، ص 60

* سفح : نعني به هنا الصخور المنزلقة اللينة

الى القيروان ولم يبقى منه الا فئة قليلة من الفرسان فاغتنم كسيلة هذه الفرصة و فر من قبضته فجمع حوله عدد كبير من قومه والبيزنطيين عندما وصل عقبة حصن تهودة*بجانب بسكرة استغل كسيلة هذا الظرف الثمين وحاصر عقبة الذي وقع في الكمين وقضى عليه فاستشهد كل أصحابه بما في ذلك الاسير أبي المهاجر[1]، وقد ذكر ابن خلدون أن هؤلاء الشهداء(عقبة وأصحابه) دفنو بمكانهم في أرض الزاب وقد جعل على قبورهم أسمنة ثم جصصت واتخذ هذا المكان مسجداً عرف باسم عقبة بن نافع وهو من أشهر المزارات ومكان البركات حيث يعتبر بقعة مميزة في الأرض لما تتوفره من عدد الشهداء الصحابة والتابعين الذي لم يبلغه أحدهم.[2]

برز التأثير الفكري والسياسي في منطقة الزيبان، وخاصة، في الجزء الشمالي من بسكرة، وانتشرت تعاليم الخوارج على نطاق واسع في المغرب العربي، ثم في القرن التاسع الميلادي، تلقت نفس المنطقة عقيدة الشيعة. وشهد الزاب عدة معارك، توالت بعدها السلالة الفاطمية الحكم في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، قبل دخول منطقة الزاب وفي نفوذ الدولة الموحدية (1121 م –1269 م). وكانت المسيلة عاصمة الزاب في ذلك الوقت، لكنها سرعان ما بدأت تختفي بعد تدمير قلعة بني حماد، حيث كانت بسكرة أهم مدينة في المنطقة.

بعد سقوط الموحدين وتفكك دولتهم وإعادة تقسيم المغرب العربي إلى ثلاث دويلات، الحفصيين من المغرب الأدنى، وزيانيين في المغرب الاوسط والمرينيين في المغرب الاقصى، تتنافس هذه الدول على ضم بلاد الزاب بالقوة كما حاولت تارة ضمها بالوسائل السياسية والدبلوماسية. حيث وقعت ضمن الدولة المرينية، التي كانت تتمتع أحيانًا باستقلال كامل، ولاحقا ظهرت بسكرة كعاصمة لبلد الزاب.

[1] عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، مصدر سابق، ص 60

[2] أحمد بن خالد الناصري السيلاوي، استقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء 1/ د–س–د–ط

ومن خلال ماذكره ليون الافريقي يبدو أن المدينة تعرضت لحكم الحفصيين ثم تخلصت من الحكم الحفصي[1] وذلك بعد ثورة سكانها عليه وكانت منطقة بسكرة والزاب بصورة عامة في منتصف القرن السادس عشر على موعد مع بروز قوة جديدة التي تمثلت في النفوذ التركي، وفي سنة 1539 تمكن حسن آغا من فتح مستغانم[2]، ثم تقدم نحو الجنوب الشرقي فاستولى على عاصمة الزاب بسكرة وملحقاتها وبنى له حصناً وأقام حامية.[3] ولم تستقر المنطقة نهائيا بأيدي الأتراك حيث شهدت سنة 1552 ومابعدها ثورة تقرت وورقلة على الاتراك معتمدين على بعد المسافة التي تربط جهتهم بالعاصمة، فوجه صالح رايس ضدهم حملة عسكرية كبيرة انتهت بالحصول على غنائم كبيرة ومتنوعة،[4] كما شهدت المنطقة بعد ذلك صراعات عائلية حول مشيخة (السلطة) بين بن قانة و أولاد بوعكاز وذلك بسبب السياسة العثمانية التي تعتمد على تفضيل أسرة على أسرة أخرى، وأدى هذا الى تغذية الصراعات وتأجيج نيرانها خاصة بعد أن أقام الحاج أحمد باي عام 1830باسناد منصب شيخ العرب باقليم الصحراء لخاله بوعزيز بن قانة وهذا ما اعتبرته عائلة بوعكاز اهانة لها كونها تزعمت المنطقة لفترة ليست بقليلة فتحولت هذه الرغبة في الحصول على السلطة الى صراعات دموية بين العائلتين، وقد كان مجالاً بينهما وازدادت اشتعالا مع الفترة الاستعمارية[5] التي جاءت عقب الحكم العثماني.

[1] محمد أجرتني، مرجع سابق، ص 68

[2] مرجع نفسه، ص 68

[3] علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض واسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامية – مصر، ط1، 2001، ص 223

[4] محمد أجرتني، مرجع سابق، ص 68

[5] هشام ذياب محمد المكي بن عزوز، حياته ومواقفه وآثاره، 1854–1916، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير تخصص التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، فرع التاريخ ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، 2014، ص 18–19

2-المبحث الثاني: خصائص منطقة الزيبان

2-1-المطلب الأول: أقسام منطقة الزيبان

كثرت تقسيمات المنطقة بعين المؤرخين والجغرافيين، ومع ذلك سنقوم بذكر أهم التقسيمات التي ميزت كل قسم منها، وبطبيعة الحال سنلاحظ في هذه الدراسة العديد من الاختلافات في تقسيم هذه المنطقة.

- اذ قسمه ابن خلدون سنة 779هـ الى ثلاث اقسام مع ذكره نسب كل قسم:
  - الجانب الغربي: قاعدته طولقة أولاد محمد سباع وكانت لأبي بكر بن مسعود اشتراها منهم علي بن أحمد شيخ وأولاده عمر وسليمان ابن علي وحدث بينهما فتنة كبيرة وصارت في مجالات أولاد سباع بن يحي فغلب سليمان وبنيه عليها أكثر.[1]
  - الجانب الوسط: وقاعدته بسكرة لأولاد محمد حيث عملوا على حماية ضواحيهم من عبث الأعراب وفسادهم.
  - وأما الجانب الشرقي: من الزيبان فقاعدته بادس ونتومة فهو لأولاد ثابت.
- وقسم هذا الاقليم ايضا من طرف الرحالة دوك دي دوماس[2] في ثلاثة أقسام:
  - زاب الظهراوي: هو زاب الشمال
  - زاب قبلي: هو زاب الجنوب
  - زاب شرقي: هو زاب الشرق[3]
- كما أن الشيخ البشير الابراهيمي يقسم اقليم الزاب الى 3 اقسام متصلة متقاربة:

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 47

[2] هرباش زاجية، الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين، دوماس نموذجا، مجلة العصور الجديدة، 2012، ص 29

[3] المشير دوك دي دوماس، الصجراء الجزائرية، ترجمة قندوز فوزية، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 142

- قرى الزاب الظهراوي : من قراه طولقة وليشانة وبوشقرون وفوغالة والعامري وجميع هذه القرى تعتمد على زراعة النخيل في الزراعة وانتاج أجود أنواع التمور في العالم وتسقى بالآبار الارتوازية الغزيرة.[1]
- قرى الزاب الغربي : ويشمل ليوة صحيرة وبن طيوس و أوزلال، واعتمدت هذه المنطقة على زراعة النخيل، ويمكن توسيع رقعة هذه المنطقة باضافة كل من زاوية سيدي عابد ومليلي و كور بسكرة .[2]
- قرى الزاب الشرقي : من قراه سيدي عقبة (مدفن عقبة بن نافع فاتح افريقية) والدروع وتهودة وتسقى من الانهار المنحدرة من جبال الأوراس[3]، كما اضاف دوماس اليها هذه القرى : قراطة – سريانة – سيدي خليل و بادس، وسكان هذه القرى ليسوا من أصل عربي فنجد في اخلاقهم وعاداتهم السياسية والدينية والفلاحية العلامات المميزة للسكان الأصليين وأهم القبائل الذين يعيشون تحت الخيم بقرى الزيبان هم : أهل بن علي – شرفة – قمارة و دارید[4].

ولقد كانت هذه القرى تضع على عاتقها حماية القرى الضعيفة التي لا تستطيع تكوين وحدة بحد ذاتها، ونذكر منها القبائل التالية:

- أولاد سيدي عامر الذين يتبعون قمارة.
- عديسة الذين يتبعون أهل بن علي.
- كلاثامة الذين يتبعون أهل بن علي.
- فرحات الذين يتبعون دارید.

[1] أحمد طالب الابراهيمي، آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج 4، دار الغرب الاسلامي، 1997، بيروت، ط1، 1997م، ص 353

[2] المشير دوك دي دوماس، مرجع سابق، ص 143

[3] أحمد طالب الابراهيمي، مرجع سابق، ج 4، ص 353

[4] المشير دوك دي دوماس، مرجع سابق، ص 144

- لمسات الذين يتبعون شرفة.[1]

- وقسم من طرف حساني مختار الى زاب غربي وزاب شرقي.

- الزاب الغربي: يقع غرب بسكرة ويشمل حالياً بلدية طولقة، برج بن عزوز، ليشانة وبوشقرون وفوغالة الذي يشكل الجانب الشمالي منه، وتشكل بلديات أوماش مليلي وأورلال مخادمة وليوة قسمه الجنوبي.
- أما الزاب الشرقي: فيحتل الناحية الشرقية من بسكرة ويمتد حتى شمال الوادي فيشمل بلديات سيدي عقبة، قراطة، سريانة، وغيرها من قرى المنطقة.[2]

ومن خلال ذلك يتبين لنا بأن منطقة الزيبان قسمت في بعض الأحيان الى قسمين وأحيانا أخرى الى ثلاثة أقسام، وفي كل قسم مجموعة من المدن وذلك ما يظهر من خلال المصادر والمعلومات المتاحة.

[1] المشير دوك دي دوماس، المرجع نفسه، ص 144

[2] حساني مختار، الحواضر والأمصار الاسلامية الجزائرية، ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص 256

2-2-المطلب الثاني: مدن منطقة الزيبان

تعددت حواضر ومدن منطقة الزيبان، إلا أن بعضها تصدرت المجموعة الأساسية في الكتب خاصة تلك التي كانت عواصم لها مع المراحل التاريخية وذلك ما سنتطرق اليه في مايلي.

إن اتساع رقعة بلاد الزيبان واحتوائه 360 مدينة وقرية إلا ان مجموعة منها فقط تصدرت حيثيات التاريخ ومحطاته حيث كان لها شأن كبير[1]، هذه المدن التي ذكرت من طرف المؤرخين والجغرافيين كإبن خلدون وياقوت الحموي ومارمول كريخال ودوك دي دوماس، ومن أهم المدن التي لا يجب أن نغفل عن ذكرها مايلي:

- مدينة بسكرة:

من أهم مدن الزيبان ذلك أنها اعتبرت عاصمة لها اذ يعرفها الحموي :

"بسكرة من بلاد الزاب بأرض المغرب وهي قاعدة تلك البلاد وهي كبيرة وكثيرة النخيل والزيتون وأصناف الثمار وعليها جسور وخنادق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال".[2]

ويعرفها مارمول كريخال:

"انها مدينة عريقة في القدم بناها الرومان يوم كانوا يحتلون بعض المراكز في افريقيا لكن بعض معالمها تدمرت بسبب الحروب والقتال وأعاد العرب إعمارها ثانية وأحاطوها بأسوار من الاجور".[3]

---

[1] فوزي مصمودي، الزاب، المصطلح والدلالات، مرجع سابق، ص 58

[2] محمد بن منعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح احسان عباس، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح، ط1 1975/ ط2 1984، ص 113

[3] مارمول كريخال، افريقيا الجزء 3، تر: محمد حاجي- أحمد توفيق- محمد الأخضر، مكتبة المعارف، 1988-1989 ص 168

وقد فتحت بسكرة على يد عقبة بن نافع، بعد فتحها الحقت ببلاد الزاب كاملة، وقد ألحقت بمدنها وقراها بافريقية (تونس)[1] وهو ماذكره المؤرخ عبد الرحمان الجيلالي، أن أرض الزاب في الجنوب الجزائري كانت تابعة في الأغلب لايالة (تونس)[2] خلال القرن 15 حيث ينقسم الى قسمين، هما الزاب الأعلى والزاب الأسفل، والأول يمتد من جنوب قسنطينة الى ساحل البحر وهو ينتمي اداريا الى ولاية تونس، والزاب الأسفل يمتد من جنوب قسنطينة الى سفوح جبل الاطلس.

وقد جاء ذكر مدينة بسكرة مرتبط بذكرها الدائم مع منطقة الزيبان ذلك لأنها اعتبرت العاصمة والمنطقة الاساسية لها في كل المجالات.

- مدينة طولقة:

تقع مدينة طولقة بالقرب من بن طليوس وتتشكل من ثلاث قرى كانت في غرب وشرق ضاحية المدينة وهي التي تعرف اليوم (برج طولقة) ويقول عنها توفيق أحمد المدني "طولقة واحة جميلة كبيرة في وسطها قرية ضخمة يبلغ سكانها ثلاثة آلاف وبها آثار معاقل رومانية وبيزنطية، كما تعرف بأنها بلاد الآبار الارتوازية الغنية حيث يوجد بها بير عن طرشة وبير سعدة بن الطيب وغيرها".

وهي مدينة قديمة يرجع تاريخ تأسيسها الى القرن السابع قبل الميلاد، بنيت من طرف النوميديين على محرى مائي ساخن وكانت تسمى (نيولاشة) عند الرومان، تداول على حكمها الرومان والبيزنطيون الذين تركوا آثارهم في المنطقة المتمثلة في الحصن

[1] فوزي مصمودي، الزاب، المصطلح والدلالات، مرجع سابق، ص 31

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العامر، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط7، 1994م، ص 32

البيزنطي بالاضافة الى بقايا حمام روماني مصنوع من الحجارة ونجد فيه قنوات تصريف المياه والمواقد.[1]

ويعرفها حسن الوزان على أنها مبنية بناها النوميديين يحيط بها سور منخفض ويمر قربها جدول ماء ساخن تنتج اراضيها كثيرا من التمر والقليل من القمح، سكانها فقراء مثقلون بالضرائب من قبل الحكام الاتراك وملك تونس.[2]

أما البكري فيصفها ويقول عنها "طولقة وهي ثلاث مدن كلها عليها أسوار طوب وخنادق وحولها أنهار وهي كثيرة البساتين والزيتون والأغياب والشجر وجميع الثمار."[3]

- مدينة بادس : تقع بادس في الجهة الجنوبية الشرقية في الاوراس قرب واد العرب تبعد عن بسكرة بحوالي 95 كلم تكمن اهميتها بوقوعها على الطريق الرابط بين بسكرة غربا مرورا بتهودة و خنشلة ماسكولا في قلب الاوراس شمالا و قفصة بتونس شرقا و تبسة شمال شرقي بادس تتميز بمجموعة من المظاهر كانت موجودة في العهد الروماني حيث كانت المدينة تحتوي على معسكرين الاول يحيط بها و الثاني على ربوة محاط بسور دائري كان يستخدم في الاغلب كملجأ للمدنين وهو يمثل المدينة القديمة اضافة انه تم العثور في بادس على مجموعة من الاثار كالحجارة المنحوتة الاعمدة خزانات مائية و قنوات ري كما لا تزال هذه الاثار واضحة

هي مدينة زراعية هامة استمدت شهرتها من مواردها الزراعية ومن كونها من المراكز العسكرية الهامة على الطريق الروماني الجنوبي ولا تزال بقايا السدود وخزانات المياه ماثلة للعين شمال المدينة وتحديد في منطقة سدي ناجي[4]، كما تحتوي منطقة بادس

[1] بو خليفي قويدر جهينة بن ميسي، أحسن تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفضة، الزيبان، قصر طولقة نموذجاً، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 44، جوان 2016، ص 13

[2] حسن الوزان، وصف افريقية، ج 2، ترجمة محمد الأخضر محمد حاجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ص 140

[3] ابو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، مرجع سابق، ص 52

[4] حساني مختار، مرجع سابق، ص 48

على حصنين فيهما جامع وأسواق وبسائط ومزارع يزرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم.[1]

- مدينة البرج:

تقع هذه المدينة غرب اقليم الزاب، تبعد عن بسكرة مسافة قليلة لكنها أكثر منها سكوذلك راجع الى ماحولها من اراضي صالحة للفلاحة، ويقول عنها حسن الوزان بان البرج مدينة على بعد اربعة عشر ميلا غرب بسكرة وهي متحضرة كثيرة السكان، يوجد بها عدد كبير من الصناع لكن الاغلبية فيها من الفلاحين.[2]

- مدينة نفطة:

لقد ذكرها حسن الوزان "هذه المدينة مقسمة الى ثلاثة قصور عظيمة، لاسيما القصر الذي توجد به القصبة، أظن أن الرومان هم الذين أسسوا نفطة ويظهر ذلك في طابعها العمراني"، كما ذكر ابن حوقل هذه المدينة في كتابه صورة الأرض بأنها "ذات سور ونخيل واسعة".[3]

- مدينة طبنة:

هي مدينة كبيرة ولها حصن قديم عليه سور من حجر جليل ضخم متقن البناء، لها اراضي واسعة وقد افتتحها موسى بن نصير حيث دخل بلاد افريقية، وتشق طبنة جداول الماء العذب ولها بساتين كثييرة فيها ثمار وقد بنى لها صهريج كبير تسقى منها جميع بساتينها وأراضيها حيث كانت مابين الزاب والتل.[4]

[1] ابو عبيد الله البكري، مرجع سابق، ص 74

[2] حسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 139

[3] ابو القاسم ابن حوقل، كتاب صورة الارض، ج1، دار صادر، بيروت، ط2، مدينة ليدن، 1983، ص 94

[4] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 132

وقد ذكر عبد الرحمان الجيلالي أن طبنة عاصمة الزاب الجزائري فهي أعظم بلاد الزاب بينها وبين المسيلة مرحلتان وهي حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير وبها اجناس مختلفة من الناس وبها صنائع وتجارات ولأهلها معرفة في تجارة التمر وتنوعت الفواكه بها كثيرا.[1]

وايضا يقال طبنة هي قاعدة الزاب الجزائري وهي مدينة قديمة من العصر الروماني وقد أدت دورا هاما في عهد الرومان وقد تضررت اثناء الغزو والاحتلال الوندالي والبيزنطي ولكنها استقلت عهد جديد عندما فتحها الفاتحون المسلمون حيث اصبحت تابعة لولاة عرب وعمرتها أسر عربية اسلامية، ومما لا شك فيه هو ان مدن الزاب كثيرة ومتعددة ولذلك كان التعريف ببعضها نظرا لأهميتها بين المدن الأخرى.[2]

وفي الأخير تبين لنا أن منطقة الزيبان تعتبر من أهم الحواضر الجزائرية التي زخرت بتاريخ طويل فكانت بمثابة جسر للعلماء والشعراء واهتم بها المؤرخون لما لها من دور فعال في ثقافة الشعوب والأمم.

[1] محمد بن عبد المنعم الحميري، مرجع سابق، ص 387

[2] صالح فركوس، تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينيقي الى نهاية الدولة الزيانية، ج 1 مديرية النشر، جامعة قالمة، 2011، ص 17، 18

الفصل الثاني

لقد تميزت منطقة الزيبان بأثرها الثقافي وعاداتها وتقاليدها حيث كانت من أبرز المناطق في الجزائر التي تزخر بالعلم والعلماء وتتميز بهوية ثقافية وعلمية كاللغة والدين والتاريخ والانتماء الحضاري حيث حرصنا في هذا الفصل على الحديث عن مختلف العادات والتقاليد كالمناسبات الدينية والمناسبات الاجتماعية بالاضافة الى بعض الفنون التي كانت تزخر بها منطقة الزيبان

1-المبحث الأول: الحياة العلمية في اقليم الزيبان

1 -1- المطلب الأول: التعليم في اقليم الزيبان 1519-1830

تأكد التقارير والكتابات العربية منها والأجنبية أن التعليم كان منتشرا حيث ان كل القبائل والمداشر بها معلموها ومدرسوها قبل الاحتلال[1] وفي الفترة العثمانية خلال القرن 15و16 على الأقل في ما يخص الكتابة والقراءة و الحساب عكس العهد الاستعماري، وقد ارتبط التعليم بوسائل بسيطة وكان يمارس في الزوايا والكتاب والمساجد والمدارس وفي نفس الوقت ارتبط التعليم في بعض المؤسسات بممارسة بعض الطقوس التي تؤدي حتما الى تحريف رسالة التعليم وما يجعله أقرب الى الخرافات والبدع في القرن 15، وكان التعليم السائد هو التعليم العربي[2] الاسلامي، فكل الذين درسوا التعليم والثقافة خلال القرن 18 لاحظوا كثرة المدارس وحرية التعليم وكثرة المتعلمين ووفرة الوسائل من أجل العلم كمداخيل الوقف ومحلات الأوقاف والأجور العالية، وقد كان يمارس التعليم في اقليم الزيبان في الريف والمدينة بنفس المستوى ونفس البرامج، وعليه كانت المواد التي تدرس هي حفظ القرآن الكريم ومعرفة اللغة العربية وعلوم الدين والاهتمام بالفروع الفقهية على مذهب الامام المالكي، فبالرغم من ان مذهب الاتراك كان حنفيا لكنهم لم يرغموا الناس على اعتناقه، ويلاحظ أن التعليم العربي الاسلامي كان يتألف

[1] أحميدة عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر ميلة، 2004، ص 150-155

[2] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2005، ص 80

من ثلاث مستويات، الإبتدائي والثانوي والعالي، وكان الثانوي والعالي مجانا، أما الابتدائي كان بأجر رمزي جدا ، وكانت المدارس متصلة بالمسجد يشرف عليها وكلاء الشؤون الدينية وتتغذى من أملاك الأوقاف الخيرية، لكن تمت مصادرتها مع بداية الاحتلال وضمها لأملاك الدولة الفرنسية ونفي وتشريد العلماء وهجرتهم جعل التعليم يموت[1].

وقد تميز التعليم في الزيبان في القرن 17و18 بارتكازه على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد، حيث كان في طليعة المثقفين والفقهاء الذين يتمتعون بالقيادة الروحية ويشاركهم مشايخ الصوفية ومقدموها [2] في القرن 18، ومن المدن التي كثر ذكرها خلال العهد العثماني نجد بسكرة والخنقة[3]، وقد اشتهرت بسكرة وضواحيها بجامع سيدي عقبة التاريخي[4]، وشهدت ايضا حركة علمية غير عادية مقارنة بالوضع العام بمنطقة الجنوب الشرقي، وأكبر دليل على هذا العدد الهائل من المخطوطات المحفوظة بالزوايا، نذكر منها الزاوية العثمانية بطولقة في الفترة الممتدة من القرن 16 الى القرن 18، غير ان فترة حكم صالح باي عرفت ازدهارا وتطورا ثقافيا كبيرا للتعليم، فقد أسس المدرسة الكتانية والمدرسة الملحقة بالجامع الأخضر، واهتم بالحياة الاجتماعية والثقافية وعلى رأسها الزوايا، وكان له تأثير كبير على الزيبان[5]، فتأكد الخريطة انتشار الزوايا ومؤسساتها بالزيبان على غرار الرحمانية بالبرج أن التدريس كان يمارس حتى تحول الى قبلة لطالبي العلم والتصوف، ايضا هناك الزاوية العثمانية بطولقة والمختارية بأولاد جلال وزاوية الجروني بسيدي خالد وزاوية صادق بن رمضان ببسكرة وزاويتي عبد الحفيظ

[1] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 19-22

[2] يوسف بن حسين خنفر، العلامة محمد الصغير الأخضري البسكري، حياته آثاره ، جامعة ورقلة، ص 35

[3] بلدة خنقة بسيدي ناجي، حاضرة من حواضر الزاب الشرقي، الطيب كريم، الملتقى الوطني الحادي عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان، الجمعية الخلدونية، بسكرة، 2017، ص 90

[4] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 179

[5] سجل صالح باي للاوقاف، 1774-1792، تقرير فاطمة الزهراء قشي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 9

الخنقي والناصرية وزاوية الصادق بن الحاج بالقصر أحمر خدو وزاوية سيدي مصمودي، بغض النظر عن الزوايا الأخرى القادرية والتيجانية على الدور الذي قامت به في نشر الثقافة العربية الاسلامية وممارسة التعليم على أوسع نطاق.[1]

فقد كان للزوايا والطرق الصوفية دورا فعالا في الجانب الثقافي والتعليم العربي الاسلامي خاصة حيث كان لها نفوذ في أوساط المجتمع حتى اكثر من الباي وشيخ القبيلة، هذا ما جعل السلطة العثمانية تتقرب من بعضها ولكنها خلال هذه الفترة كانت الصوفية بالاسم فقط لا بالممارسة، نجد منها في طولقة فبقدر ماكان هؤلاء نعمة على المجتمع، يحملون لواء الثقافة والتعليم وتركهم تراث من الأفكار و المؤلفات بقدر ماكانوا نقمة بما أحدثته هذه الطرق من صراعات محلية ونشرهم الخرافة والبدع وابعاد المجتمع على العلم والعمل اذا لم تكن لديهم اهتمامات بالفلسفة والتوحيد في الدين الاسلامي.[2]

حيث اصبحت مهمة النظام العثماني سهلة وتمكنوا من السيطرة على المجتمع وبسط نفوذهم ونشر ثقافتهم وعوائدهم وحتى بعذ ذلك فالاحتلال قد تفطن لأهمية الطرق التي انتهجها العثمانيون في التعليم لهذا حاول استمالتها وتضييق الخناق على التعليم العربي الاسلامي.

لكن من جهة اخرى وجهت انتقادات للوضع التعليمي في الزيبان خلال العهد العثماني حيث يرى البعض انهم قاموا باهمال العمل وتوجهوا الى الجهاد فقط مما فتح المجال امام عدة امور منها الشعوذة والخرافات والتصوف مغشوش.[3]

---

[1] الامير بوغدادة، دور الأخوان الرحمانيين في المقاومة بمنطقة الزيبان خلال القرن 13هـ، 18م، مجلة علوم الانسان والمجتمع، عدد 1 جوان 2015، جامعة بسكرة.

[2] عميراوي احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس اواخر العهد العثماني / د/ س، د/ط، ص 35

[3] فوزي مصمودي، العلامة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري 1514-1575، شخصيته مواقفه وآثاره (د،ط) موغم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 15

2-1-المطلب الثاني: المساجد والكتاب وطريقة التعليم

تعتبر المساجد كمؤسسة دينية لعبت ادوارا هامة منذ بداية الاسلام وتمثلت في ثلاث أدوار رئيسية، وهي المهمة الروحية، المهمة الثقافية التعليمية، والمهمة الاجتماعية، فهو منبر الالهام الروحي وتوثيق العلاقة مع الله سبحانه وتعالى باقامة الصلاة وتلاوة القرآن الكريم ، وفيه يتعلم الناس الاحكام الشرعية ويتلقى فيه المسلمون احكام دينهم ودراسة اسلامهم والتعرف على تاريخهم، وذلك من خلال الدروس والخطب والمواعظ والارشادات التي يتولى أمرها العلماء والمشايخ، و كثيرا ما يخلط بين اسم الجامع والمسجد و الزاوية وذلك ان بعض الجوامع والمساجد كانت تابعة لزاوية معينة، كما ان بعض الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة، والتداخل ليس في الاسم فقط بل في الوظيفة ايضا، فالجوامع والمساجد كانت للتعليم والعبادة ، وأصبحت كلمتين مترادفتين مع أن كل جامع مسجد وليس كل مسجد جامع، ذلك ان القرآن الكريم يأخذ المسجد في سورة الكهف في معنى البنيان أو القبر، وذلك في قوله تعالى: "**قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً**" [1]، في حين الجامع هو حدث ثقافي في تاريخ المسلمين، وأعظم ماصاغه الفكر الاسلامي وأصبحت المساجد مؤسسات عامة تؤدي وظيفة الجامع،[2] والجوامع والمساجد في الأغلب غير منسوبة الى الأولياء والصالحين بل هي منسوبة الى مؤسسيها من الساسة والتجار والعسكريين ونحوه، بينما الزوايا تنسب غالبا الى ولي من الأولياء[3]، وكانت تخصص بعض أموال الأوقاف لبناء المساجد والزوايا فكان بناء الزوايا يختلف عادة عن بناء المسجد، فالزوايا غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد والمنزل واذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة، وفي ظل الفراغ المؤسساتي للتعليم في العهد العثماني لم يجد الناس مكانا افضل من المساجد كمؤسسات دينية عريقة لتشرف على عملية

[1] سورة الكهف، الآية 21

[2] أحمد محمد ابو شنار، اهمية المساجد في الاسلام، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، 2019 ، ص 50-52

[3] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص 246

التعليم وبالتالي أصبحت المؤسسات التعليمية الاساسية في المدينة والريف، ومادام هناك حب وضرورة لتعليم الابناء ولم يعد عمل المسجد مقتصرا على استقبال المصليين لآداء الصلوات والفرائض فقط وهكذا تطور المسجد الى الجامع كما يقول غوستاف لوبون "....**مركز الحياة الحقيقي عند العرب فالعرب يتخذون من المسجد محلا للاجتماع والعبادة والتعليم لا للعبادة فقط، ومن توابع المساجد على العموم المدارس**[1]...." يمكننا القول اذا ان المساجد لم تكن تخلو في أي يوم من الأيام من حلقات العلماء والطلاب جيلا بعد جيل، وما فتئت هذه المساجد تخرج المشايخ والطلاب.

1-أهم المساجد بمنطقة الزيبان:

لا نمتلك احصائيات مؤكدة عن المؤسسات الدينية في اقليم الزاب غير انه لا شك ان المساجد كانت منتشرة خاصة في بسكرة وأحصى المؤرخ أبو القاسم سعد الله سبعة عشر[2] مسجدا منها ماكانت تقام فيها الدروس على يد العلماء الكبار مثل مسجد سيدي الصحبي، ومنها ما كانت لها احباس في بيت المقدس ومكة والمدينة خاصة بأهل بسكرة مثل المسجد الكبير بالقصبة، أما على مستوى المنطقة فإن اشهر المساجد مسجد عقبة بن نافع الفهري، ويوجد به ضريح الصحابي عقبة بن نافع ومجموعة من أصحابه، ومساجد أخرى منتشرة على مستوى الزاب الشرقي، وكلها كانت عريقة تخرج منها عدد كبير من الطلبة ودرس بها علماء ومشايخ[3] أجلاء مثل مساجد عين الناقة وزريبة الواد وبادس وخنقة بسيدي ناجي ولياثة هذه الاخيرة كانت تشتهر بالعلم وكانت تسمى الزيتونة الصغرى ، وعلى مستوى الزاب الغربي هو ايضا به عدد كبير من المساجد ومعظمها كانت مشتهرة بتدريس علوم الشريعة الاسلامية واللغة

[1] غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل غيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 450

[2] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص 95

[3] Louis pierre, l'ineraire de l'algerie de tunis et de tanger, litraire l'hachette, paris, 1862, p15-16

والحساب[1]، مثل مسجد سيدي عبد الرحمان الأخضري بينطوس ومسجد سيدي عيسى بن عمر بوشقرون ومساجد اخرى بأولاد جلال وسيدي خالد، هذه الاخيرة على حجمها كانت تحتوي على سبعة هياكل تعليمية هامة تتمثل في المساجد السبعة، وكان في كل مسجد كتاب على الأقل في وقت كان عدد السكان لا يتجاوز 1500 نسمة، أما المساجد السبعة التي كانت معمرة في ذلك الوقت لا تزال قائمة الى وقتنا هذا ونذكر منها :

- مسجد خالد بن سينان: وبه زاوية
- مسجد العتيق: به كتاب
- مسجد الشيخ المختار: به زاوية
- مسجد الشيخ الجروني: به زاوية
- مسجد بن حرز الله: به كتاب.[2]
- مسجد الشرقي: به كتاب

اما الزاب الشمالي اشتهرت القنطرة بمساجدها العريقة طول الفنرة العثمانية لكنها للأسف تعرضت للتدمير والاهمال وسوء الاستغلال للاوقاف من طرف الاحتلال الفرنسي في 1830.[3]

[1]Louis pierre, –op–cit– p, 20–22

[2] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، منشورات وزارة الثقافة، 2005، ص 12

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، مرجع سابق، 1996، ص 99

2_المبحث الثاني: الحياة الثقافية في اقليم الزيبان

2-1-المطلب الأول: العادات والتقاليد في اقليم الزيبان

الاحتفالات الدينية:

للأعياد الدينية في منطقة الزيبان طابع تقليدي مميز ونكهة خاصة، فهي مناسبات تجمع الشمل وتزرع بينهم المودة والرحمة، تتميز هذه المناسبات بالمأكولات التقليدية وتدوم ايام وليالي وتحييها فرق فلكلورية و فعاليات ثقافية متعددة، نذكر منها:

- **شهر رمضان واحتفالات 26 رمضان:**

يصف المؤرخون والرحالة ان مايلفت الانتباه في شهر رمضان هو صيام المسلمين وامتنعاهم عن الأكل والشرب طوال النهار، فيصف نهارهم بانه خالي من الحركة، اما الليل فتعم المقاهي بالناس وتنتعش الاماكن.[1]

وهناك تظاهرة تقام في اليوم السادس والعشرين في بعض بلدات المنطقة وأشهرها بلدة سيدي خالد، تحمل طابع ديني ثقافي وتتمثل في استقبال الحجاج والاهتمام بهم، وذلك لأن سيدي خالد تقع على الطريق الغربي للحجاج ونقصد بهم القادمين من المملكة المغربية والسينيغال وغامبيا، وتتزامن هذه التظاهرة مع ليلة القدر ليلة السابع والعشرين من رمضان التي انزل فيها القرآن فصارت الاحتفالات بهذه المناسبة تخصص لاستقبال الحجيج وتقترن بالاحتفال بليلة القدر لهذا يبدأ الحفل يوم السادس والعشرين وينتهي ليلة السابع والعشرين من رمضان الى غاية انطلاق الوفود نحو مكة المكرمة، فبعد منتصف النهار يتوجه الزوار في حشد لمسجد سيدي خالد لأداء صلاة الظهر جماعة ويدعوا

[1] عبد الله الركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز، ج1، د-ط، دار الحكمة، الجزائر، 1999م، ص71

الامام الحجاج ان يسهل الله مناسكهم ويحفظهم في سفرهم وبعد الصلاة تبدأ مراسم الاستعداد للسفر.[1]

- عيد الفطر:

يحتفل السكان بهذا اليوم في أول يوم من شهر شوال الذي يلي شهر الصيام، ويمثل هذا حدثا احتفاليا دينيا اجتماعيا يؤدي فيه السكان صلاة العيد في تجمعات المساجد والساحات العمومية ويلبسون الثياب الجديدة ويحرصون على التأنق والتطيب ويتجهون لصلاة مع أطفالهم فيبدؤون صلاتهم بالتكبير "**الله اكبر..الله أكبر..لا اله الا الله**" ويرددونها عدة مرات مع السجود، وعندما تنتهي الصلاة يتبادل السكان التهاني والزيارات مع الأهل والاقارب والاصدقاء، ويجب اكثار التسبيح والاستغفار، ويمثل العيد فرصة للتصالح بين المتخاصمين ويعتبر يوما للصدقة فيصدق الطعام والأموال للفقراء ويتبادل الناس الهدايا وأيضا يخرج الاطفال في أبهى حلة ويزورون البيوت لجمع العيدية، اما الرجال فيتجهون للمقاهي للجلوس مع الاقارب والجيران، اما بالنسبة للنساء فهن ايضا يتزين بأحلى ماعندهن من لباس ومجوهرات، ويستقبلن بعضهن ويقدمن الهدايا، أما بعط صلاة الظهر فيتجهن جميعا للمقبرة مع أطفالهن.[2]

- عيد النحر (عيد الأضحى):

يصادف يوم عشرة ذي الحجة وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بشعيرة الحج، ويقوم فيه السكان بنفس الطقوس التي يقومون بها في عيد الفطر من صلاة وتسبيح وتبادل الزيارات مع لبس أجمل حلة، لكن هذا العيد هو احياء لذكرى وافتداء بسنة سيدنا ابراهيم عليه السلام الذي كاد يضحي بابنه اسماعيل استجابة لله تعالى فتم استبداله بأضحية بعد ان علم الله صدق نيته لذلك يقوم سكان الزيبان بذبح الأضاحي في هذا اليوم وتوزيع

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، مرجع سابق، ص 622

[2] S.H leeder , the desert gate biskra and theratuts London p 50-59

اللحم على الفقراء والمساكين، ويتم رش العتبة بالدماء، أما السطح فتعلق جرة تحتوي على آخر ما أكله الخروف قبل ذبحه وتدعى "**شعير النبي**"،[1] وفي هذا العيد يقوم الصبيان الذين بلغ عمرهم 18 سنة بذبح الأضحية كدليل على بلوغهم وعلى انهم اصبحوا رجالاً.[2]

- يوم عاشوراء:

هو يوم له مكانة دينية خاصة تقوم فيه النساء والرجال على حد سواء بتكحيل عيونهم بمادة تسمى الكحل (هو حجر يطحن ليستخدم كمادة تجميلية) التي تصنع في المنزل بعناية وذلك لاعتبارها سنة نبوية شريفة، بالاضافة الى قص القليل من الشعر في هذا اليوم ويقومون باعداد وليمة حيث يطبخون أكلة الشخشوخة باللحم وماتبقى من عظام يجمعونها ويلقونها في النار ويهربون بعد القائها، ومن تخلف في الوراء سيقع في قبضة بوهرنوس وهي شخصية اسطورية تداولها أهل المنطقة.

- حلقات القرآن وحفظ الحزب:

تكون في المسجد تقريبا فيجلس الحاضرين في حلقة على الأرض ويستمعون الى كلام الله فالأغلبية لا يعرفون القراءة وخاصة كبار السن.[3]

- المولد النبوي الشريف:

يبدأ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف منذ حلول شهر ربيع الأول فتبدأ مظاهر الاحتفال تتجلى في المساجد حيث تتزين وتفرش أجنحتها بأفخر الافرشة لاستقبال حلقات الذكر والمديح وبعد صلاة العشاء تنطلق في كل مساجد منطقة الزيبان الحلقات

[1] مقابلة شخصية على أفرن، 31 جانفي 1931، زريبة الوالدي، 15 افريل، 2021

[2] S.H leeder, op-cit-P64-65

[3] مقابلة شخصية على افرن، مرجع سابق

حيث يجتمع الناس حول امام المسجد الذي بدوره يقوم بالقاء روائع الخطب والقصائد لمدح المصطفى عليه الصلاة والسلام.

اما الليلة الثانية عشر اي في ليلة المولد النبوي يقوم سكان منطقة الزيبان "الطمينة" وهي خليط دقيق وعسل التي تحضر خصيصا لهذه المناسبة ويتناولها الافراد صباحا مع كأس حليب وتروى في تلك الأثناء قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على أهل البيت.[1]

وفي الليل يقام حفل ليستمر الى ساعة متأخرة يمضيه رواد المسجد مستمعين للدعاء والذكر ويختم الامام بالدعاء لجميع الحضور، اما في المنازل فتقوم العائلة حسب مقدورها باعداد وليمة، ولا يغيب طبق الكسكس من هكذا مناسبة، كما تقوم النساء بالتزين بالحناء في ايديهن وأرجلهن، بالاضافة الى الكحل والسواك، وفي مثل هذا اليوم يتم زيارة الموتى وأضرحة الأولياء الصالحين.[2]

كما يتم في هذه المناسبة ترديد العديد من الهتافات الى جانب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويبخرون الغرف، ويطفئون الأنوار ويضعون في كل غرفة شمعة تضيء ويكثرون الدعاء ويرفعون الآذان.[3]

ومن بعض الترديدات الشائعة في المولد النبوي:

يمة يمة كحليلي بالمرود باش نشوف سيدي محمد

يمينة جابتو وحليمة رباتو...

[1] وزارة الثقافة، بسكرة، اسوار من الحضارة، وزارة الثقافة، الجزائر، (د-س-ن)، ص 68

[2] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، مرجع سابق، ص 662-663

[3] أحمد خمار، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، دار الهدى للطباعة، الجزائر، 2012

1-الاحتفلات والمناسبات الاجتماعية:

- **الزواج:**

تختلف عادات الزواج الى حد ما بين مختلف القبائل ويتم تعديلها وفقا لثروة العائلات، لكن الملامح الرئيسية للزواج تبقى نفسها حيث يتكفل الوالدين باختبار الفتاة المناسبة لتزويج ابنهم بعد بلوغه سنة الثامنة عشر، الشرط ان تكون الفتاة من عائلة الاب أو الأم قصد الحفاظ على السلالة، ومن الممكن ان يخطب الزوجان عند ولادتهما.[1]

حيث يقرر والد الزوج عندما يرى ابنه في العمر المناسب ويبعث بزوجته الى عائلة الفتاة بعد السؤال عن سمعتها فتخضع الفتاة لفحص من طرف حماتها ماذا كان مظهرها مرضيا وصحتها وشخصيتها (الطاعة، الأعمال المنزلية...) ثم يستدعي الاب جيرانه ويختار خروف سمين من قطيعه بعد ذلك يذهب في موكب الى بيت العروس اين يتم استقبالهم من ثم يطلب والد العريس الفتاة ويتفقا على شروط الزواج والمهر الذي يتراوح من مئتان الى ألفين فرنك بالاضافة الى ذلك تقدم الهدايا لأهل العروس وبعد الاتفاق يقوم شيخ القبيلة (كبير العرش) باعلان اتحاد الخطيبين وقراءة الفاتحة وكان ذلك بمثابة وثيقة قانونية للزواج.[2]

بعد ان تتفق العائلتان وتتم الخطوبة يتحدد الزفاف و يتم تجهيز العروس بداية بالحمام ويتم دهن شعرها بالحناء وتستخدم الكحل وتتزين بالجواهر وترتدي الملحفة. قد كانت مدة العرس سبعة ايام حيث تجتمع النساء في المحفل (مكان اقامة العرس)[3]

[1] حياة بزيو، المرآة والشعر في سيدي خالد، دار احجية للنشر والتوزيع، (د-ب-ن)، 2017، ص 49

[2] وزارة الثقافة، بسكرة، اسوار من الحضارة، مرجع سابق، ص 40

[3] S.H leeder, op-cit-P204-202

ويقومون بعمل الحناء للعروس من طرف الجدة أو أم العريس وغناء أشهر الأغاني التي تعبر عن الفرح بالمناسبة.

في اليوم الموالي يقوم النساء باخراج العروس ويأتي الرجال ويطلقون البارود[1] وترتفع الزغاريد وتأتي راقصات أولاد نايل ويقمن بالرقص وهو مايميز الافراح، كان الفرسان يظهرون بطولاتهم بهدف الحصول على زوجة المستقبل، ويبدأ موكب العروس فتحمل العروس على ظهر بغل أو في الركابية[2]عند العائلات الميسورة، ويضرب عليها الطبل والمزمار ويسير هذا الموكب مع حمل النساء الشموع، يتم استقبال العروس من طرف حماتها حيث تقدم لها وعاء من الزبدة مع البيض والتي تعرضها في بيتها وتلطخها على حائط البيت، وهناك عادات ان تمشي العروس على بيضة فتكسرها، وهناك عدة ليالي في العرس منها ليلة الحنة وليلة الدفوع ثم ليلة الطلوع، وليلة الطلوع هي ليلة الدخول بالتعبير العامي اين يتم ضرب البارود وتتعالى اصوات النساء بالزغاريد بعد التأكد من عذرية العروس.[3]

- **الختان:**

يلبسون فيها الصبي لباس اصفر من الحرير ويجعلون الراية في سطح البيت اي اشارة على ان في هذا المنزل يوجد حفل ختان، ويلبسونه ايضا منديلا وبلغة صغيرة ويحضرون قصعة من الرمل ليضعوا فيها الدم والجزء المقطوع في عملية الختان ثم يقومون بدفنه، وهناك من يعلق ذلك الجزء على النخيل.[4]

يكون الختان عبارة على يوم واحد تكون في وليمة منتصف النهار تبدأ العائلة في تحضير مايغطي واجبات الضيافة من مصاريف ويختار الوالد الطهار المناسب ليكون

[1] محمد صالح لونيسي، الأوراس، تاريخ وثقافة، دار الطباعة العصرية، برج الكيفان، الجزائر، 2007، ص111

[2] الركابية: وهي قفص كبير يحمل سبع بنات توضع فوق بغل يقوده صفان من الرجال وخلفهم النساء

[3] Felix hanlfart, au pyas des planes Biskra

[4] احمد خمار، المرجع السابق، ص 74-75

رجلا عاديا خبيرا في هذه العملية الجراحية ويقوم بمعالجة الجرح بأدواته التقليدية البسيطة كمسحوق الشب وغيره من المسحوقات.

لا يوجد للختان موعد معين الا في مناسبة السابع والعشرين من رمضان موعد مناسب القيام بعملية الختان وكثيرا مايضيف صاحب الأسرة الاطفال لعرسه ليجنب أهلهم تكاليف حفلة الختان.[1]

لقد كان الختان سنة اسلامية مؤكدة ومترسخة في عادات وتقاليد منطقة الزيبان، فهي تمثل حدث هام للطفل وأسرته إذا يعد احتفالا من مرحلة الطفولة الى مرحلة القوة والشباب.

- **احتفال راس العام يناير:**

تنحصر المظاهر المشتركة المتعلقة بالاحتفال برأس العام او يناير في تنظيف البيت واكرام رب العائلة واستقبال الاثافي (الكانون) أملا بعام أكثر رخاء وعافية، حيث يرمز تبديل الكانون الى استبدال السنة المنتهية بمصاعبها ومشاقها بسنة اخرى.[2]

ويبدأ الاحتفال ليلة الثالث عشر من شهر جانفي، أما الاطفال فيطوفون بكل ابواب القرية وهم يرددون هتافات واهازيج أملا في الحصول على أطعمة وحلويات.

وفي هذه الليلة هناك عائلات تقوم بتحصير (الشرشم) وهي أكلة تقليدية قوامها حبوب القمح الذي يخلط معه أنواع من الحبوب كالفول والحمص، وهناك من يقوم بطبخ الكسكس أو طبق الشخشوخة بالاضافة الى عائلات اخرى تقوم بطبخ رؤوس الماعز.[3]

- **التويزة:**

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، مرجع سابق، ص 698-867

[2] مقابلة شخصية على افرن، مرجع سابق

[3] أحمد خمار، مرجع سابق، ص 76

تميزت الزيبان بعاداتها وتقاليدها العريقة التي اتسمت بالتكافل، فالتويزة هي موروث ثقافي عرفت كظاهرة في كامل القطر الجزائري خاصة الريفي منه، والهدف منها هو انجاز عمل جماعي لمصلحة فرد أو جماعة ما تطوعا مثل جني الزيتون، الحصاد، بناء مسجد، غسل الصوف، وغيرها من الأعمال، فتجدهم جميعا على اهبة الاستعداد لانجاز هذا العمل.

2-الممارسات والانشطة اليومية:

- **الالبسة:**

بالنسبة للنساء كانت أبرز الالبسة هي الملحفة، التي تتشكل من قطعتين من القماش الامامية والخلفية، وتربط عند منطقة أعلى الكتف عن طريق خلة أو خلالات، وهي نوع من الحلي في اغلبه يكون من الفضة ويضاف لها قطعتين من الامام ككما يضاف لها حزام، او مايعرف بالمحزمة، لتربط خصرها فوق الملحفة سواء كانت من الفضة او خيوط الصوف الملونة، بالاضافة الى عبروق[1] الذي تضعه فوق رأسها وأثناء الشتاء تضع اللحاف المطرز بألوان عديدة يحاك من الصوف الابيض تحتمي به من برد الشتاء[2].

وقد قال ابو قاسم سعد الله ان نساء منطقة الزيبان متقلات بالجواهر والملابس المزركشة والملونة ويعتبرون ذلك أقصى حد للزينة.

[1] العبروق: هو قطعة قماش توضع فوق الرأس مثل الخمار

[2] مقابلة شخصية، عون زهرة، 1929، العامرة زريبة حامد، 10 جوان 2021

كما اشتهرت المرأة في الزيبان في ملابسها مايعرف بالحلي اسمها الجين، وهي قطعة تغطي كل الرأس، بالاضافة الى سخاب الريحة [1]النقاب، وكانت المرأة تتباهى بارتدائها أكبر عدد من المجوهرات.[2]

اما بالنسبة للرجال فقد كانوا متمسكين باللباس التقليدي المتمثل في السروال العربي والطربوش، بالاضافة الى البرانس والاقمصة المصنوعة من الصوف، وكانوا يرتدون حزام فيه سكين مغلف بغمد جلدية عادة تكون باللون الاحمر والاسود، وأحيانا يحملون البنادق على اكتافهم.[3]

وكان البرنوس هو اللباس الاكثر تداولا بين الرجال وله عدة أنواع، منها البرنوس الابيض، الذي يصنع من صوف الغنم النقي الخالي من الشعر، ويخيط بخيط من الحرير، وهناك البرنوس الاحمر الذي يصنع من وبر الإبل وهو أكثر تكلفة من البرنوس الابيض، وبرنوس البيدي، هذا النوع يكون خشن وثقيل ومائل الى الزرقة ويصنع من الصوف الممزوج بشيء من شعر الماعز.[4]

بالاضافة الى القشابية وهي نوع من اللباس الخاص بفصل الشتاء يحاك من الوبر او الصوف ويغطي كامل الجسم.

- **الاطعمة:**

كانت مأكولات سكان منطقة الزيبان بسيطة، وهذا دليل على بساطة اهلها ومستواهم المعيشي، فمن أكثر الاكلات تناولا خاصة في المناسبات "زواج، ختان..."، وغيرها هو

[1] سخاب الريحة: وهو سلسال يصنع من بذور نبتة القمحة، تعجن من الطيب والمسك والورد ثم تقسم الى حبيبات وتثقب بأعواد الحلفة، ثم يجففونه ويشكلون سلاسل

[2] مقابلة شخصية، عون زهرة، مرجع سابق

[3] سعدي شخوم، صورة بسكرة في كتابات الرحالة الانجليز سكسونيين نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، محاضرات الملتقى الثالث عشر ببسكرة عبر التاريخ، ص 77

[4]محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية بسيدي خالد، مرجع سابق، ص 389-390

الكسكس الذي يتم تحضيره من مسحوق الدقيق والماء ليمر بعدة مراحل قبل ان يتم طهيه فوق البخار ليصبح طرياً ويضاف له المرق والخضر أحيانا قطع اللحم، وكان يحضر من دقيق القمح أو الشعير، وقد تعددت أنواع الكسكس كالكسكس المسفوف والكسكس بالمرق الاحمر والكسكس بالفول.[1]

كان سكان منطقة الزيبان يعتمدون في أكلهم على مايتوفر لهم على مدار السنة مثل التمر فكانوا يصنعون منه "الرُب"، وهو مربى التمر يصنع بغلي التمر ثم تنزع نواته ثم يمرر في قطعة قماش لتصفيته وبعد ذلك يترك ليتخدر ليصبح ذو طعم غني بكامل مكونات التمر الأساسية، أيضا أكلة الشخشوخة التي تصنع من فتات الدقيق الذي يتم تحضيره وطهيه لتضاف اليه المرق والخضراوات وزيت الزيتون إذا وجد ان كان سكان المنطقة خاصة البدو منهم يستعملون بكثرة شحم الماشية من غنم وماعز مكان الزيت.[2]

وقد كان يتم تجفيف اللحوم بعد تمليحها وهي طريقة قديمة كانت شائعة وسمي بالخليع او القديد، ولم تستعمل طرق التجفيف على اللحم فقط بل اعتمدوها على الخضر حيث يقومون بتجفيف الطماطم والفلفل والثوم وذلك من اجل الحفاظ عليه اكبر وقت ممكن، بالاضافة الى تمييز البن وتحويله الى مادة صلبة تدعي الكليلة، اما في فصل الربيع فكان يتم تحضير الرفيس او الرزيقة، وهي أكلة متكونة من رقاق وحليب وسكر ويضاف اليه زبدة ودهان ويرفقها كأس حليب او لبن، بالاضافة الى ذلك كانوا يأكلون الجراد وبعض الحشائش كالسبانخ، النيفاق، والكبار التامة وغيرها وكانت تنبت بدون زراعتها.[3]

[1] أحمد خمار، مرجع سابق، ص77

[2] مقابلة شخصية، عون زهرة، مرجع سابق

[3] المرجع نفسه

2-المطلب الثاني: الفنون في منطقة الزيبان

2-1-الفنون الشعبية:

- **الشعر الشعبي:**

عرف هذا اللون من الأدب ازدهاراً كبيرا ابتداء من منتصف القرن 17م الى غاية القرن 18 حيث تطور الشعر الشعبي كثيرا من حيث الأغراض من شعر صوفي او عاطفي الى شعر حماسي.

اعتمد شعراء الشعبي لغة المنطقة التي أجمع الكثير انها قريبة من الفصحى وركزوا أكثر على المدائح الدينية وعلى الشعر الصوفي والقصائد التوسلية ومدح الشيوخ والأولياء الصالحين أكثر من القصائد ذات المواضيع العامة.[1]

اما عن الشعر في المواضيع العامة فقد كانت لغته بالدارجة فهو ينقل لنا الأحداث اليومية للمجتمع وتصور لنا حياة سكان الزيبان.

- **القصة والرواية:**

وهي القصة أو الأقصوصة أو النادرة أو الأحجية، وقد اتخذت نوادي وأماكن خاصة بها حسب نوعية كل منها فهناك نوادي خاصة تقام في بيت أحد الأعضاء ويقتصر روادها ومرددیها على جماعة قليلة قد لا تتجاوز خمسة أو ستة أفراد، ويجتمعون ليلا حول طبق من التمر وابريق شاي ويلتفون حول القارئ أو الراوي الذي يسرد عليهم الرواية مباشرة من الكتاب على ضوء شمعة، وقد تتواصل الحكاية الى ساعة متأخرة من الليل.[2]

المداح الشعري وهو القاص الذي يجوب الأسواق ويجمع الناس حوله في حلقات يروي لهم حكايات شعبية ذات طابع تاريخي يمجد أعمال الصحابة والفاتحين، وقد

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، مرجع سابق، ص 415-416

[2] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، مرجع سابق، ص 434

تتناول قصصه أخبار المتصوفة والمرابطين (لفظ كان بطلق على ملوك العرب في الاندلس)، ويتصف المداح أنه قوي الذاكرة خفيف الروح سريع النكتة يؤثر في عواطف الناس.[1]

- **الأحاجي والنكتة:**

تزخر منطقة الزيبان بالعديد من الأحاجي والنكت، فقد كان الأهالي يقضون أوقات فراغهم وهم يتبادلون الأحاجي والألغاز والنكت خاصة في ليالي الشتاء الباردة، فهم يجتمعون حول النار ويبدأ كل شخص بسرد ما لديه من نكت لاضحاك البقية واضفاء جو كوميدي خلال السهرة.

وقد كانت تقال هذه النكت في مناسبات مختلفة من حفلات الختان والأعراس، بالاضافة انها تقام في ليال السمر والشتاء الباردة عندما تجتمع العائلة حول موقد النار، عادة مايكون الأب هو الذي يروي هذه النكت أو كبير العائلة " الجد"

- **الألغاز:**

كانت منتشرة جداً هذه الظاهرة أوساط المجتمع في تلك الفترة ولدى الفئات العمرية كلها، وهناك أحاجي تقال للصغار ومنها ماهو خاص بالكبار لأنها تكون معقدة أكثر وتستوجب التفكير والحسابات الذهنية، فقد كان الأفراد يتناقلوها ابا عن جد ويتداولوها في كل المناسبات وفي كل مكان في المنازل، في الأسواق، في الساحات العامة، وغيرها....

[1] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، مرجع سابق، ص 435-437

- **الموسيقى:**

الموسيقى في الزيبان أصيلة ومتنوعة ترجع أصالتها الى كونها مستوحاة من التراث المشترك الذي انتجته العبقرية الشعبية، وتمتد جذور هذا التراث الى عهود قديمة، فهي موسيقى متنوعة لاختلاف مناطق وبيئتها من جهة والتأثيرات الخارجية من جهة أخرى، وكان لاتساع الرقعة الجغرافية للزيبان أثر على الموسيقى فقد جعلها متنوعة النغمات والأداء، والموسيقى ارتبطت بالشعر والرقص وغيرها من الفنون.

هذه الموسيقى وعلاقتها بحياة الناس اليومية في حين كان لها علاقة وطيدة بها حيث ان كل من يؤرخ لهذه الأنشطة الانسانية يلاحظ انها تمثل روح الشعب[1]، والطبوع الشائعة في المنطقة والتي تميزت بها عبارة عن الحان صحراوية متنوعة ومن أشهرها العربي، وله اربعة عشر لحنا، والعابدي والسعداوي والترحاب الذي يشترك فيه اهل المنطقة مع الشاوية خاصة أهل الاوراس، خنشلة وباتنة وأعراش الحراكتة من منطقة ام بواقي[2].

ايضا هناك موسيقى متطورة في مدينة بسكرة تعرف بحلباب البردية والبنقة بتضخيم حرف القاف، حيث يقول الرحالة اندري جيد : أنه حضر احد حفلات هذه الموسيقى "البنقة" فنقل مشاهدته في نص: " **تثيرنا الموسيقى الزنجية وأصوات الطبل الزنجي سمعناها اكثر من مرة في العام الماضي ! وأكثر من مرة استيقظت لاتابعها ليست هناك نبرات فقط الايقاع لا وجود لآلات نغمية، لاشيء غير آلات الدف والطبول**

[1] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1945،1830، ج5، المرجع السابق، ص 430

[2] محمد حليس العربي حرز الله، منطقة سيدي خالد، مقومات ثقافية وآفاق سياحية، تاريخ، ثقافة، سياحة، ص 134

والأجراس[1]، ثلاثتهم يعزفون قطعا ايقاعية، هؤلاء هم العازفون في المناسبات الاحتفالية والدينية[2]".

- **الرقص:**

وهو فن مستقل ايضا لا يقتصر على النساء فقط بل يخص الجنسين، كل منهما بطبوعه وتلويناته الخاصة، ويتم الرقص على أنغام الآلات الموسيقية مهما كانت بسيطة ولو بالتصفيق وضرب اليدين.[3]

في الحفلات نجد ان المرأة كانت تلعب دور المنشط من خلال الرقص والزغاريد، فكانت ترقص وحدها أو قد ترافقها زميلة أو أكثر، يضل وجهها مغطى بوشاح شفاف، ورقص المرأة لا يكون الا في المناسبات كالزواج والختان وغيرها.

وهناك أمداح خاصة تقدمها النساء للنساء في غياب الرجال تدوم ساعات، وترقص فيها النسوة طويلا على أنغام الدف والطبل وبعض الآلات الأخرى.

أما أثناء الحفلات العمومية المكشوفة والتي يمكن أن يحضرها الرجال فإن النساء يرقصن فيها وهذا بعدأ، تتقدم فتيات صغيرات الى الميدان مغطاة الوجوه ومحتشمات، ويبدأن الرقص بالمناديل الحريرية في حركات بطيئة، وعندما تنشط الموسيقى تسرع الحركات وتبدأ النسوة بالدخول الى حلبة الرقص، ثم أخريات ويدخلن الحلبة و تصخب الموسيقى وتسرع حركة الرقص مع أصوات الغيطة والقصبة وزغاريد المشجعات وطلقات البارود المتقطعة، وكلما انسحبت بعض النسوة من الحلبة تتقدم أخريات اليها، وهكذا الى ان ينتهي الحفل، وأحيانا يتقدم أحد الرجال ويطلق البارود عند رأس الراقصة تعبيرا عن الحب أو الإعجاب.

---

[1] المرجع نفسه، ص 134

[2] اندري حيدر، رحلة الى شمال افريقيا، تر. محمود عبد الغني، دار توبقال للنشر (د–ب–ن) 2012، ص 24

[3] احمد حليس محمد العربي حرز الله، منطقة سيدي خالد، مقومات ثقافية وآفاق سياحية، تاريخ، ثقافة، سياحة، مرجع سابق، ص135

أما رقص الرجال الذي كان في الأحيان فقط وليس دائما، تختلف طريقته عن رقص النساء، فكانت فرقة من الرجال تقف في صفين متقابلين وتبدأحركات معينة، ثم تتقارب الصفوف ثم تنفصل لكي يرقص كل صف وحده، وهكذا هو ما يعرف بالرحابة، وهناك من الرجال من يرقص بالمقاهي في المدن فرادى أو رجلين معا، وأحيانا حتى مع إمرأة.[1]

من خلال ماتطرقنا اليه في هذا الفصل، لقد توصلنا الى ان اقليم الزيبان بمختلف عاداته وتقاليده يمثل موروثا حضاريا واسعا ومتنوعا، عمل على الحفاظ على كينونة المجتمع الجزائري.

[1] مقابلة شخصية على أفرن.

الفصل الثالث

شهدت منطقة الزيبان خلال العهد العثماني حركة علمية ثقافية دينية في مختلف الجوانب، حيث جعلتها منارة للعلم والعلماء، وتميزت بالعديد من العلماء الأجلاء الذين جاهدوا في سبيل الله ورسوله، كما كان لهم دور في العلم والقضاء على الجهل.

1-المبحث الأول: العلماء في اقليم الزيبان

1-2-المطلب الأول: المؤثرات العلمية في اقليم الزيبان

ان عراقة منطقة الزيبان قد ضربت آفاق التاريخ وكانت من أهم المناطق التي أدت دورا فعالا في الثقافة الجزائرية، حيث تميزت بعلمائها وبصيغتها العلمية في ترسيخ تعاليم الاسلام وتثبيت قواعده، وكانت معبر لعديد من الرحالات مثل الورثيلاني والعياشي والدرعي وغيرهم من الرحالة الذين زاروها وتحدثوا عنها في مؤلفاتهم، حيث ساهمت الحركة العلمية للمنطقة على نشر العديد من العلوم والمعارف، حيث يقول أبو القاسم سعد الله في هذااشأن "بظهور العلماء كفئة متميزة ليس وليد العهد العثماني لا في الجزائر ولا في غيرها من العالم الاسلامي فقد بدأ -كما نعلم- منذ استولى على شؤون المسلمين حكام جهلة ليس لهم صلة بالحضارة الاسلامية واللغة العربية ولا بأمور الدين، فجهل الحكام هو الذي مهد لظهور العلماء كفئة متميزة ليسدوا الفراغ كمستشارين ومشرعين ومفسرين، وأصبح شعار العلماء أنهم هم حماة الدين ومصابيح الظلام بينما لم يكن الأمر كذلك حين كان الحكام علماء والعلماء حكام.[1]

وكان العلماء يقومون برسالة هامة في المجتمع، من اصلاح ذات الدين ولاسيما في الأرياف، وتوعية العامة بقواعد الشرع وأحكامه الصحيحة، حيث كان السكان لا يثقون في الحكام بقدر ما يثقون في العلماء والمرابطين، ولما كانت السلطة السياسية في بعض المناطق شبه معدومة، فقد كثرت النزاعات والمشاغبات واللجوء الى قوة تحكيم الهوى والعادات القبلية أكثر من تحكيم الدين

[1] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الأسلامي، بيروت، ط 1، 1998، ص|388

والقواعد الانسانية والتضامن الاجتماعي، لذلك كان العلماء يقومون باعادة الحق الى نصابه ويفتون الناس فيما جهلوا.[1]

ولعل ظهور العلماء في منطقة الزيبان خلال هذه الفترة رجع الى عدم معرفة الحكام العثمانيين بأمور الدين ولا بالعادات والتقاليد التي كانت سائدة في الجزائر بصفة عامة، وبذلك ظهرت هذه النخبة العلمية لتوعية الأفراد ونبذ الجهل في أوساط الجتمع.

من بين العلماء الذين كان لهم الاثر الكبير على منطقة الزيبان هو العالم الجليل (عبد الرحمان الأخضري)، ولد عبد الرحمان الأخضري بقرية بنطيوس بالزاب الغربي، وعاش بين 920هـ/1514م، 953هـ/1546م، وبذلك يكون هذا العلامة قد توفي في مقتبل العمر، اذ لم تتجاوز حياته الثلاث والثلاثين سنة، ومن هنا يمكن إدراك مدى عبقرية هذا الرجل الذي قدم لعصره خلال سنوات قليلة ما عجز عنه الآخرون ممن طالت بهم الايام والسنين.

فعلى الرغم من قصر عمر الأخضاري فقد كانت ايامه مليئة بالانتاج العلمي والابتكارات والاعمال المميزة، اذ يقال انه انجز قرابة الثلاثين[2] من المتون وشروحها في مختلف الفنون وشتى العلوم، وقد ظهرت عليه علامات النبوغ والتفوق في سن مبكرة، وقد انجز وهو في عمر صغير "منظومة السراج" في الفلك، كما انجز منظومة "ازهار المطالب في الاسطرلاب" حين بلغ العشرين من عمره، أما منظومة "السلم المرونق في المنطق والحكمة" فقد أكملها وهو في سن الحادية والعشرين، كما انجز منظومة القدسية وهو في سن الأربعة والعشرين، 1537م.

[1] ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 444،445

[2] الاصالة، جانفي، 1978، العدد 53، انظر ايضا، ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص 81

وبعد هذه الفترة اشتكى عبد الرحمان الأخضري خاصة والجزائر عامة من تردي الأحوال وتراجع العلم والعلماء، وفي وقت سابق لعبد الرحمان الأخضري ظهر رجل مشهود له بالعلم والتقوى وهو (عبد الرحمان الثعالبي)، فقال: "**قد قل الاغتناء في هذا الزمن بالعلم**"[1]

ولم يقف الوضع عند الثعالبي الذي عاش في القرن 9هـ، بل ازدادت الاوضاع سوءا في القرن 10هـ، الذي عاش فيه عبد الرحمان الاخضري، ففي هذا العصر توقف تدفق المعرفة وانطفأت أنوار الاجتهاد والابتكار وجفت منابع العلوم والفنون، فنكبت البلدان المغربية عموما بالغزو الصليبي القادم من اسبانيا ومالطا وصقلية، وكانت الممالك المغربية في أسوء أحوالها من الضعف والتفكك و انكسار ، وقد وصل في آخر المطاف الى استنجاد الجزائريين بالعثمانيين، واستمرت ظاهرة الفساد والتكاسل طوال الفترة العثمانية، الا أن عبد الرحمان الاخضري حاول تغيير الاتجاه التقليدي، حيث سلك طريقا اكثر فعالية وأوفر ثمارا، فأعاد للأذهان سنة اسلافه من العلماء كعبد الرحمان ابن خلدون، الونشريسي، عبد الرحمان الثعالبي، أحمد زروق الفاسي، فنطلق في التدريس والتأليف ووجه طلاب العلم الملتحقين به الى تلقي العلوم النقلية والعقلية، حيث كان يعلمهم من العلوم الفلك والمنطق والحساب والبلاغة واللغة والنحو، اضافة الى التوحيد والفرائض والفقه والتصوف.

- رحلة الحسين بن محمد الوثيلاني (1193هـ/1780م):

هو الحسين بن محمد بن السعيد الوثيلاني نسبة الى بني ورثيلان بمنطقة القبائل الصغرى بالجزائر[2]، ولد سنة 1125هـ في أسرة اشتهرت بمكانتها الدينية والاجتماعية الراقية، فقد كان جده ووالده اصحاب طريقة صوفية، وكان أخواله من أسرة أولاد مقران

[1] تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 249، نقلا عن مخطوط الأمهات، عبد الرحمان الثعالبي.

[2] عبد الحق زريوح ابو الراس الناصري الجزائري ومؤلفاته في مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب،
دمشق، العدد 98، جوان، 2005، ص 235

صاحبة المال والسيف، ويقال ان نسب العائلة يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم، أي من الأشراف، تعلم العلوم الدينية وحفظ القرآن وأخذ التاريخ وفنون زمانه.[1]

كانت حياة الوثيلاني كحياة الصوفيين، حياة زهد وورع، وأصبح شيخ طريقة الشاذلية، وكان يحب الاطلاع حيث اطلع على رحلات من سبقوه مثل الرحلة الناصرية للدرعي المغربي (1717م)، ورحلة ماء الموائد لابي سليم العياشي، (1681م).[2]

أدى الوريثلاني فريضة الحج وزار الحجاز عدة مرات لتأدية مناسك الحج والعمرة، اوها رفقة والده سنة 1159هـ، وكان ابن الثامنة عشرة، والثانية 1166هـ، اما الثالثة والأخيرة كانت سنة 1181.

اتبع الورثيلاني في رحلته الطريق البري، وقد زار العديد من المدن في المغرب الاسلامي قبل بلوغ الحجاز، منها مناطق ومدن اقليم الزيبان، بسكرة، سيدي عقبة، أولاد سيدي ناجي، نفطة.[3]

[1] ناصر سعيدوني، ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الاسلامي/ بيروت، 2000، ص 572

[2] ناصر سعيدوني، مرجع سابق، ص 572

[3] المرجع نفسه، ص 572

2-المطلب الثاني: علماء الزيبان

ان عراقة منطقة الزيبان قد ضربت آفاق التاريخ، وكانت من أهم المناطق التي أدت دورا فعالا في الثقافة، واشتهرت بعلمائها الذين سنذكر ونعرج على البعض منهم:

- **محمد بن محمد الطيب الخذقي: (1154هـ/1741م)**

هو محمد بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك بن قاسم بن ناجي ابن هذه الاسرة العريقة التي ورثت الحكم والعلم والتصوف، وجده هو الشيخ مبارك بن قاسم مؤسس بلدة سيدي ناجي، ولد سنة 1078هـ/1667م، وتتلمذ على يد العلماء الذين كانت تعج بهم الزاوية، وقد كان كثير التنقل في شبابه طلبا للعلم، كما تتلمذ على يد علماء أجلاء في تونس "الشيخ علي بن محمد النوري الصفاقسي (1118هـ/1706م)" الذي أخذ عنه بصفاقس وحصل على اجازته[1] سنة 1691م.

وما ان شب هذا الأخير حتى شد الرحال الى الحجاز لأداء فريضة الحج، فحج لأول مرة سنة 1696م، فكان ينتهز الفرصة في الحل والترحال للالتقاء بالعلماء والاحتكاك بهم والاستفادة منهم، وأثناء عودته وهو في طرابلس بلغه نبأ وفاة والده فعاد مسرعاً وحل محله في رئاسة الزاوية وتسيرر البلد دينياً ودنيوياً.[2]

كان الشيخ محمد بن محمد الطيب يتقلد المشيخة في بلدة خنقة سيدي ناجي، كما كان قاضيا معيناً من طرف السلطات، فقد كان الناس يلجؤون اليه للفتوى في كتابه "**عمدة الحكام بخلاصة الأحكام في فصل الخصام**"، ببعض المسائل التي أجاب عنها

[1] فوزية لزغم، البيتوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي (925هـ/1520م-1246هـ/1830م)، ج1، إ: محمد بن معمر، شهادة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014، ص 223

[2] فوزية لزغم، المرجع السابق، مج 1، ص 223-224

في هذا الكتاب، أتى بعدد كبير من الفتاوى المعاصرة للعالم عبد الله بن عبد الواحد العمراني (أحد علماء بسكرة) الذي تقلد الإفتاء ببسكرة.[1]

كما كان مترجماً سياسياً بارعاً تم الاعتماد عليه كوسيط بين بايات قسنطينة وبايات تونس لحل النزاعات بينهم، وقد ذاع صيته فنال الاحترام والتقدير من طرف الولاة العثمانيين الذين عملوا على كسب وده، كما تطورت مدرسة خنقة بالخصوص الشيخ أحمد بناصر فأصبحت من أشهر المدارس، وقد اشتهرت بعلوم النحو والفقه والحديث، وكانت مقصد طلبة الزيبان ووادي سوف والأوراس وحتى قسنطينة وعنابة.

ووصفه معاصره الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الواحد العمراني بقوله الفقيه القاضي الوجيه ذو الرئاستين وثالث القمرين، محيي آثار الديانة بعد دروسها ومطلع نهارها بعد أفول أقمارها وشموسها، منفذ القضايا والأحكام وقاطع علائق الألحاد في الخصام.[2]

كما نجد وصفاً آخر في ظهير مؤرخ في سنة 1123، وجهه اليه حسن باي صاحب ولاية قسنطينة، فيقول فيه "**الفقيه النبيه العالم الوجيه العلامة البحر الفهامة المشارك الذكي الفاضل الألمعي الحاج الناسك الأبر الشيخ البركة...**"[3]

من آثاره كتاب "**عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام**" ألفه في 1152هـ/1739م، توفي في خنقة 1154م1741 ودفن بها[4] .

---

[1] نفسه، مج 1، ص224

[2] محمد بن محمد الطيب ابن احمد بن مبارك، مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي او عمدة الحكام وخلاصة الأحكام الشرعية على المذهب المالكي أو عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام، تع: محمد موهوب بن احمد بن حسين، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2002، ص 5

[3] أحمد بن مبارك، مصدر سابق، ص5

[4] فوزية لزغم، مرجع سابق، مج1، ص 260

- **محمد بن عزوز البرجي:**

هو سيدي محمد بن أحمد بن يوسف بن براهيم بن عبد المؤمن بن محمد بن محمد بن بلقاسم وتمتد سلالته وصولا الى علي بن ابي طالب رضي الله على الجميع.

اشتهر باسم محمد بن عزوز البرجي نسبة الى (البرج) في منطقة بسكرة بالجنوب الجزائري، المدينة التي ولد وتوفي ودفن بها بزاويته الشهيرة التي قامت هناك على الصلاح والتقوى، وقبره يزار على مدار السنة.[1]

ولد الشيخ محمد بن عزوز 1170هـ/1765م، وتوفي 1233هـ/1818م، تربى في حجر والده الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، وحفظ القرآن الكريم واشتغل بتحصيل العلم فأخذ منه غايته و ألف تآليف مفيدة، منها "رسالة عالية في قواطع المريد" و"شرح على التلخيص"، وغيرهما، ثم رحل لزيارة الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري وأخذ عنه طريقته وأدخله الخلوة[2]، وفي اثناء تلك المدة التي قضاها في اتمام تربيته وسلوكه افتقدته والدته وحنت اليه، حسب ما روي وقول عبد الرحمان بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان "قد اتى يوم من الايام صعدت الى السطح ونادته بأعلى صوتها ثلاثا فسمعها وهو آنذاك في الخلوة فأخبر استاذه الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري بذلك فأذن له بالرجوع الى بلدته البرج لزيارة والدته وأوصاه شيخه قائلا: "**ان ادركتني المنية قبل رجوعك فتمم تربيتك وسلوكك على الشيخ سيدي عبد الرحمن باش تارزي**" (دفين قسنطينة الآن) ثم وصل الاستاذ الى أمه وهم بالرجوع الى شيخه الأول فسمع بوفاته فتوجه حينئذ الى الاستاذ الذي أوصاه عليه شيخه فتمم عليه.

[1] علي رضا الحسيني، شيخ العلماء الصالحين محمد بن عزوز، الدار الحسينية للكتاب د، ط، 1422هـ، 2001، ص 9

[2] أبو القاسم الحنفاوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج3، تقي خير الدين شترة، دار كردادة بوسعادة، الجزائر، 2013، ص 1173،1172

وبعد ذلك أمره الشيخ عبد الرحمن باش تارزي بالعودة الى قريته ونشر الطريقة هناك فقفل راجعا الى قرية البرج وبنى الزاوية هناك لتعليم الخلق وهدايتهم، وتصدر الارشاد والتدريس واشتهر أمره وقصده الناس من كل فج عميق، وانتشرت الطريقة الرحمانية في تلك النواحي وصارت تسمى العزوزية.[1]

وقد استشهد بفعل أحد الأوبئة، ودفن بقرية البرج

- **محمد الصادق بن مصطفى البسكري:**

هو الشيخ محمد الصادق بن مصطفى بن محمد بن رمضان بن عصمان، معروف ب «ابن رمضان"، من الأسر العريقة المعروفة بالعلم والثراء في منطقة بسكرة من رحالات الطريقة الرحمانية وعلمائها العاملين المجاهدين.[2]

وهو من علماء منطقة بسكرة، ولد سنة 1194هـ/1779مم، أخذ علومه عن والده والشيخ محمد بن عزوز وعبد الحفيظ الخنقي[3]، حيث نشأ في أسرة دينية محافظة اذ كان والده الشيخ مصطفى عالما مبرزا يدرس علوم الفقه والتفسير بمدينته، أخذ العلم عن والده وأخذ الطريقة الرحمانية عن الشيخ محمد بن عزوز البرجي، وعندما توفي الشيخ عزوز سنة 1818 أكمل سلوكه الصوفي على يد عبد الحفيظ الخنقي، شرع في التدريس والتعليم بزاوية والده ببسكرة، ومن الذين أخذوا عنه ابن أخيه الشيخ مصطفى بن رمضان والشيخ موسى بن العابد وغيرهما.[4]

حيث ترك الشيخ عدة مؤلفات مخطوطة أغلبها في الزهد والتصوف:

---

[1] عبد المنعم القاسمي الحسيني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البداية الى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، 1427هـ، دار الخليل القاسمي، ص288

[2] عبد المنعم القاسمي الحسيني، أعلام التصوف في الجزائر، ص 171

[3] محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال أثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج2، دار كردادة، 2013، ص 303

[4] عبد المنعم القاسمي الحسيني، أعلام التصوف في الجزائر، ص 171

- تبصرة الناكرين في طريق السالكين: وهو كتاب في الحكم والمواعظ يقع في 200 صفحة، أوله: "الحمد لله الذي نبه قلوب العارفين من الغفلات وأيقظهم من سنة الغفلة الى رفع السترات ونزه قلوبهم من النقائص والهفوات..." لا يزال مخطوطا.
- تحفة السلوك الى مقام الملوك: يقع في أكثر من 200 صفحة ولا يزال مخطوطا.
- لطائف الحكم أو طب القلوب.

وله أدعية وأذكار متداولة بين أتباع الطريقة الرحمانية، اذ توفي الشيخ في منفاه ببلدة جمورة سنة 1859، ونقل جثمانه الى بسكرة حيث دفن داخل زاويته وكان يوم دفنه مشهوداً.[1]

- **المختار عبد الرحمان الجلالي:**

المختار بن عبد الرحمان بن خليفة الابرسي الخالدي (نسبة الى قرية سيدي خالد بنواحي بسكرة)، الجلالي مؤسس زاوية ولاد جلال من شيوخ الطرق ببلاد الزاب ولد بقرية سيدي خالد 1201هـ/1784م، من ابوين شريفين ربياه تربية دينية خالصة، حفظ القرآن في سن مبكرة وتفقه على جلة من العلماء وبرز في العقائد وعلم الكلام ثم ارتحل في طلب العلم والتقى بالشيخ محمد بن عزوز فأخذ عنه العهد والتلقين وبعض سلوكه في تدرج بعض الأسماء، ولما قربت وفاته اوصاه بملازمة خدمة علي بن عمر الطولقي فلازم خدمة علي 13 سنة مواضبا فيها على الصيام والقيام والعبادة حتى فتح الله عليه على يد الشيخ علي بن عمر.[2]

[1] المرجع نفسه، ص 172

[2] عبد المنعم القاسمي الحسيني، الطريقة الحلوانية الرحمانية، ص303

وقد تحدث عنه الدكتور أبو القاسم سعد الله اذ قال: "قد أنشأ مختار بن خليفة الجلالي فرعا للرحمانية أو زاوية في أولاد جلال خدم بها المنطقة، وكذلك نواحي أولاد نائل، واشتهر الشيخ الجلالي بالورع ونشر العلم" ووصفه ايضاً: "كان طويل القامة قليل شعر اللحية نظيف البشرة، وله انشاد في مدح شيوخه وهو واعظ ومؤثر ميروى عنه أنه اشتاق الى الأكل فعاقب نفسه بالصيام 13 سنة".[1]

حيث أسس زاوية والي عام 1246هـ/1830م بقريته بسيدي خالد، وبسبب مشاكل حدثت له من قبل اهلها انتقل الى قرية اولاد جلال المجاورة وهناك اسس زاويته التي عرفت شهرة واسعة في ظرف وجيز وجاءها الطلبة من كل حدب وصوب وكان لها دور كبير في تحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشرعية واطعام الطعام وايواء الفقراء.[2]

توفي في 19 من ذي الحجة 1277هـ/اكتوبر1862، وخلف وراءه أولادا صغاراً أوصى بهم وبالزاوية تلميذه الشيخ محمد بن ابي القاسم الهاملي الذي رتب شؤون الزاوية ونظمها ثم عاد الى بلدة "الهامل"

- **المبروك بن محمد الليوي:**

ذكره عبد الحليم صيد في كتابه " المبروك بن محمد الليوي عابد زاهد صالح من قرية ليوة القريبة من طولقة، عاش ببداية حياته في مدينة قسنطينة وأبوه دفين بلدية القراح احدى ضواحي المدينة المذكورة، حيث هاجر الى بلدة ليوة واستقر فيها.[3]

زاره حسن الورثيلاني في بلدته ونزل ضيفا عنده اذ قال اجتمعنا ايضا بالزهد في الدنيا المتخلى عنها رأساً بسيدي المبروك وسيدي المبروك هو تلميذ الولي الصالح الورع والزاهد سيدي أحمد باباس[1].

---

[1] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 149،150

[2] عبد المنعم القاسمي الحسيني، الطريقة الحلوانية الرحمانية، ص303

[3] عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان، الجزائر، 2014، ص199

عندما توفي المبروك دفن في ليوة ومايزال ضريحه ظاهرا فيها الى الآن.[2]

- **أحمد بن محمد الهجرسي:** أحمد بن محمد الونجلي الحافظي الهجرسي الادريسي الحسني هو جد الأسرة الحافظية وأبرز أبنائها عبد الحفيظ الخذقي من عبار رحلات التصوف في القرن 12هـ.

كان الشيخ أحمد بن محمد الحافظي يسيح في الأوراس ويعلم الناس الشريعة، وتوقف مدة في الزاب الشرقي، وفي أواخر القرن 11 أسس زاوية "زريبة الوادي" لنشر العلم والطريقة الصوفية ثم انتقل الى الخنقة ودرس فيها الرياضيات والفلك باشارة من صديقه محمد الطيب بن محمد بن احمد المبارك زعيم بلدة خنقة، فهو ينتمي الى اسرة عريقة في العلم والدين، وهو مؤسس زاوية خنقة سيدي ناجي ومن كبار رجالات التصوف، امتد تأثيره الى مناطق مختلفة من الشرق الجزائري والى الجنوب التونسي،[3] توفي بخنقة في بداية القرن 12 هجري.

- **أحمد بن عزوز:** عاش خلال القرن الثاني عشر هجري، وهو معاصر لمحمد بن محمد الطيب، ومن المسائل التي أوردها هذا الاخير في كتابه قضية أصحابها من طولقة ترافعوا الى القضاة والحكام في منطقة بسكرة، ومن الرجال الذين مرت على ايديهم أحد أفراد هذا البيت من خلال الاسم، حيث ذكر بعد حكم السيد أحمد بن عزوز، وهذا يؤكد أنه كان قاضيا.
- **أحمد بناصر بن محمد بن محمد الطيب:** لا شك في أنه أخذ العلم من علماء خنقة بزاوية أسرته، أما مكانته العلمية فيثبتها اهتمامه بمدرسة أسرته والتي عرفت بالمدرسة

---

[1] الورثيلاني الحسن بن محمد، الرحلة الورثيلانيةن نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة يبير غونتانا الشرقية، 1908م،1326هـ، ص5،6

[2]

[3] عبد المنعم القاسمي الحسيني، الطريقة الحلوانية الرحمانية، ص303

الناصرية والتي يوجد في بابها الخارجي كتابة منقوشة على الرخام تقول انها بنيت على يد أحمد بن ناصر في شهر رجب سنة 1171هـ/1757م، والغالب على الظن ان هذا التاريخ هو تاريخ التجديد وليس تاريخ البناء الأصلي، ولهذا يرجح انها معروفة بالمدرسة الناصرية نسبة الى مجددها وليس الى الطريقة الناصرية الشاذلية.[1]

- **علي بن عمر الطولقي:** هو علي بن عمر بن احمد بن عمر بن الموقف بن عمر بن احمد ابن علي بن عثمان، تمتد سلالته وصولا الى الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه.

ولد ببلدة طولقة (ولاية بسكرة) حوالي 1164هـ/1750م، يقول الدكتور ابو القاسم سعد الله : "ان الشيخ علي بن عمر قد اخذ الطريقة الرحمانية عن الشيخ محمد بن عزوز عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان باش تارزي عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري، وتذهب بعض المصادر الى أن علي آخذ مباشرة من الأزهري أثناء رجوعه من الحج سنة 1794، حيث زاره الأزهري سنة وفاته بجرجرة ولذلك أخذ علي لقب القطب وشيخ الشيوخ، وعلي بن عمر قيل أن اصله من أشراف الساقية الحمراء، هاجر اجداده في القرن 15 ميلادي ولم يكن ينتمي الى أية طريقة صوفية أخرى قبل أخذ الرحمانية ، وقد حج مرة أخرى مع شيخه بن عزوز حيث أمره شيخه محمد بن عزوز البرجي باقامة زاوية خاصة به لما لمس فيه من صلاح وتقى، واما اصبح قادراً على التربية والتوجيه والارشاد امتثل لامر شيخه واسس زاويته المعروفة بمدينة طولقة وكان مكانها يسمى (حارة الهبرة).[2]

كان عمر بن علي الطولقي كلما وقعت فتنة بين الناس قريبة أو بعيدة يذهب بنفسه ليطفئ لهيبها ويزيل اسبابها ويصلح بين أهلها وهكذا كانت حياته، جهادا متواصلا بدون

[1] عبد المنعم القاسمي الحسيني، الطريقة الحلوانية الرحمانية، ص226

[2] عبد المنعم القاسمي الحسيني، الطريقة الحلوانية الرحمانية، ص295

اقنطاع في سبيل كلمة (لا إله الا الله) وفي خدمة مخلوقات الله الى ان انتقل الى رحمة الله.[1]

اذ توفي علي بن عمر بعد اصابته برصاصة خطئاً من طرف أقوام جاء ليصلح بينهم، وبموته توقف النزاع ووقع الصلح بين المتنازعين، ودفن الشيخ بزاويته التي تسمى باسمه وتدعى ايضا الزاوية العثمانية الرحمانية وكانت وفاته رحمه الله 1258هـ/1842م.[2]

- **عبد المعطي المليلي:** قال عنه عبد الحليم صيد:"عبد المعطي المليلي عالم فقيه من بلدة مليلى من قرى الزاب الغربي بولاية بسكرة، ذكره الرحالة أحمد بن ناصر الدرعي في رحلته، ولا نعرف عنه غير هذا".
- **الرماني:** هو محمد بن عبد الواحد الرماني البسكري، استقبل أحمد بن ناصر الدرعي المغربي والحسين الورثيلاني الجزائري في بسكرة، وأجاب الأول عن الاستفسارات حول بعض أعلام المنطقة.[3]

وقال الدرعي عن والده: " اخرج الينا ايضا والده من فقهاء البلد سيدي عبد الواحد الرماني وهو ايضا رجل من أهل الخير غلبت عليه الديانة والانقطاع عن الخلق، وقرأ علي أولا صحيح البخاري من رواية ابي ذر".[4]

---

[1] علي نعاس عبد القادر زياني، تنقية الأحفاد بمناقب الأجداد بمنطقة الجلفة وضواحيها، دار الكتاب الحديث، ط، 1424هـ/2004م، ص105

[2] المرجع نفسه، ص 105

[3] المرجع نفسه، ص 105

[4] ابو العباس احمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية (1709-1710م)، تع-تق، عبد الحفيظ الملوكي ، دار السويدي، الامارات العربية المتحدة، ط2011/1 م ص 140

" والتقى الدرعي ايضا سيدي محمد صالح وهو رجل من اهل الخير منفرد بمسجد له ازاء دراه يلازم فيه الصلوات الخمس ويجتمع اليه اناس من اصحابه يذكرهم ويعلمهم".[1]

ومن ذلك تبقى هذه الفترة أهم محطة في تاريخ الزيبان لتميزها بعلمائها الذين كانوا جوهرة عصرهم فقد ساهموا في تخليص المجتمع من الجهالة والكفر وتخرج على أيديهم العديد من العلماء الذين كانت لهم اليد في نشر العلم وكانوا أحسن خلفاً لرجال عظماء.

2-المبحث الثاني: الزوايا في اقليم الزيبان

2-1-المطلب الأول: ظاهرة الزوايا في اقليم الزيبان

الزاوية جمع زوايا وهي كلمة مأخوذة من فعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل وقول انزوى القوم بعضهم الى بعض اي تضامنوا وانزوى صار في الزاوية والزاوية من البيت بمعنى الركن كما ورد في كتاب اللغة سميت بالزاوية، ان الذي فكر في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين، اختاروا الانزواء بمكان والابتعاد عن صخب العمران طلبا للهدوء والسكون اللذين يساعدان على الذكر والعبادة، وهي من الوظائف الاسلامية التي من أجلها وجدت الزاوية.[2]

ان الوظائف الاساسية للزوايا التي كانت تنفع بها المجتمع التقليدي تمثلت في كونها مؤسسات تأطيرية للمجتمع في الوظائف الاجتماعية والاقتصادية والقضائية وخاصة التعليمية.

من هذه الزوايا زاوية علي بن عمر بطولقة سنة 1780، حيث كانت مخصصة للتعليم وتكون الطلبة، ومدة الدراسة غير محدودة ومجانية.

---

[1] المصدر نفسه، ص 140

[2] مؤيد صلاح العقبي، الطرق الصوفية بالجزائر، تاريخها ونشأتها، دار البراق، بيروت لبنان، 2002، ص 201

تعد زاوية طولقة من أقدم الزوايا التعليمية التي فتحت أبوابها للتلاميذ وبذلت جهدا كبيرا في نشر التعليم العربي والعلوم الاسلامية، كما توجد زوايا أخرى في منطقة الزيبان اهتمت واعتنت هي الأخرى بوظيفة التعليم وسارت على نفس الاتجاه التعليمي مثل زاوية أولاد جلال والناصرية والرحمانية بخنقة سيدي ناجي.[1]

كانت الزاوية الى جانب قيامها بالتعليم تقوم بوظائف أخرى مكملة لغرس بذرة الفكر الباطني والتكوين الروحي في الطالب والمريد التي يغرسها عادة شيخ الزاوية ومقدمها.[2]

أما فيما يتعلق باحصاء كل الزوايا التي كانت تقوم بهذه الوظائف فلا يمكننا ذلك لكن سنحاول ذكر أشهرها مع الاشارة الى أهم الطرق الصوفية ومنها، القادرية، الرحمانية، والشاذلية والتيجانية التي كانت منتشرة انتشارا واسعا، لكن قبل ذلك نسأل عن سبب تسمية هذه الطرق بأسماء أصحابها من المشايخ دون الانتساب الى الأصل أي القادرية[3]، وذلك يعود الى أحد المبادئ الطريقة القادرية التي كان يبينها عبد القادر الجيلالي.

وفضلا عما كانت تقوم به الزوايا من الوظائف المتعددة فإنها كانت كذلك مخازن للكتب والمخطوطات، من أشهرها وأعرقها المكتبة التي كانت توجد بزاوية خمار بقداشة بالضاحية الجنوبية لبسكرة، وتعد من أعرق المكتبات على مستوى منطقة الزيبان.

وهناك زاوية عمر العثمانية بطولقة التي إنشأها عمر بن عثمان، تضم في رفوفها الى جاب 1500 مخطوط مايفوق 4500 مطبوع قديم، و يتنوع في هذه الزاوية ارث ثقافي وعلمي متميز ومجموعة من العناوين متنوعة في المجالات الدينية والعلمية والثقافية والسير الذاتية، وقد

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص 73،74

[2] المقدم هو المريد الذي يقذمه الشيخ على غيره من المريدين لينوب عنه في كل ما يخص شؤون المشيخة والزاوية

[3] رشيد بكاي، سلطة الخطاب الصوفي في الجزائر، التنظيمات الصوفية خلال الفترة الاستعمارية من المقومات الشعبية الى المقاومة السياسية والثقافية، دراسة تحليلية نقدية دكتوراه علم الاجتماع، جامعة وهران، 2013، ص174

أثرى مقتنيات هذه الزاوية من المخطوطات الحاج بن علي بن عثمان بن عمر (1814-1857) خلال رحلاته الى عدة بلدان عربية على غرار تونس والمغرب والحجاز.[1]

2-2-انتشار الطرق الصوفية والزوايا:

بدأت حركة الطرق الصوفية بالظهور في الجزائر منذ القرن السادس عشر الميلادي وأخذت بالانتشار على نطاق واسع خلال العهد العثماني، ويبدو أن هذه الطرق بوجه عام تمكنت من توجيه مسار الحياة السياسية والاجتماعية والروحية لم يسبق ان عرفت الجزائر مثيلا له، ذلك في تعتقده ان استقرار الوضعية الدينية والمذهبية في الجزائر بهذا الشكل يعود للتحالفات الاستراتيجية بين السلطة العثمانية والطرق الصوفية الى الرباطات التي كانت منتشرة على مستوى المغرب الاسلامي والتي كان الهدف منها رد العدوان الصليبي والهجمات البرتغالية والاسبانية التي كانت تهدد الوجود الاسلامي في شمال افريقيا، واخذت بالانتشار في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ومعظمها فروع لطرق قدمت من خارج الجزائر واتخذت لنفسها فروعا كثيرة.

لقد برزت العديد من الطرق في الجزائر أشهرها القادرية، الشاذلية، الرحمانية، التيجانية والسنوسية، وامتازت بحركة علمية واجتماعية وتمثل الجزء الاعظم من المجتمع، وتعد الجزائر المركز والمنشأ لأغلب الطرق المتواجدة في المغرب العربي.[2]

بامكاننا ان نتعرص لها حسب أهميتها وانتشارها في منطقة الزيبان ومكانتها بين المجتمع في المجتمع.

[1] مقابلة شخصية مع شيخ زاوية عثماني عبد القادر 14 أفريل 2018، على 10 صباحا

[2] محمد بن بريكة، الحركة الوهابية سبب التطرف في العالم الاسلامي، جريدة الخبرن ع6270، 18 فيفري2011

2-3-المطلب الثاني: الزوايا في الزيبان

- **زاوية برج بن عزوز الرحمانية العزوزية:**

البرج بلدة وواحة صغيرة قرب طولقة تبعد عن بسكرة 38 كم، تحولت الى قبلة لطلاب العلم والتصوف، بعد استقرار الشيخ محمد بن عزوز بها بعد أخذها عن ابن عبد الرحمان الجرجري والباش تاوزي الطريقة والاجازة.

تأسس بالبرج زاويته وخلوته والتي كانت مقاما لأداء الصلوات وتقديم دروس العلم والتصوف، الى جانب خلوته حتى اصبحت تعرف بالطريقة العزوزية في الزاب والصحراء وأحمر حذو والأوراس وتتوس وليبيا، وكان من ابرز مريدي هذه الزاوية علي بن عمر وعبد الحفيظ الخنقي و مختار الجلالي وعلي بن الجروني والصادق بن الحاج والصادق بن رمضان ومبارك بن خويدم البوزيدي المداني التواتي وغيرهم الذين انتشروا عبر المنطقة للدعوة والجهاد في الزاب الاحمرحذو والاوراس والصحراء وتونس وليبيا وغيرهما.[1]

وقد بلغ اتباع الرحمانية العزوزية في المجتمع الجزائري والتونسي حسب الاحصاءات 1898م نحو 150 ألف تابع و77 زاوية في الجزائر، أما في تونس 17 ألف تابع و90 زاوية، ومن أهم الزوايا المتفرعة عن العزوزية زاوية علي بن عمر بطولقة وزاوية المختار بن خليفة بأولاد جلال، وزاوية عبد الحفيظ الخنقي بالخنقة، وزاوية الصادق بن الحاج بأحمر حذو وزاوية مصطفى بن عزوز بنفطة التونسية وزاوتي الهامل ببوسعادة وواد سوف، حتى وصل اشعاع العزوزية الى تونس وليبيا والشام.[2]

[1] عبد المنعم القاسمي الحسيني، الطريقة الحلوانية الرحمانية، ص117

[2] عبد المنعم القاسمي الحسيني، الطريقة الحلوانية الرحمانية، ص168-167

- **زاوية الشيخ علي بن عمر العثمانية بطولقة:**

ولد الشيخ علي بن عمر 1166هـ، وتوفي برصاصة طائشة في 3 ربيع الأول 1258 مايوافق 1842م، ودفن بزاويته التي أسسها 1780م بطولقة عاصمة الزاب الغربي والتي تبعد عن بسكرة بحوالي 10كم، وتعرف ايضا بالزاوية العثمانية، وقد اتخذت الزاوية موقفا مستقلا من الاحتلال وصراعي الأمير أحمد باي وابن قانة وبوعكاز، وكذلك اتجاه مقامات اخرى، لكن مجهودها في التعليم معتبر وجبار خاصة في عهد الشيخ علي بن عثمان الذي اسس مكتبة ضخمة تضم أهم الكتب والمخطوطات حيث يدرس بها بانتظام 80 طالبا[1]، وقد أخذ الشيخ سيدي سالم الاجازة منها وأسس زاوية الواد الرحمانية.[2]

وتفرعت منها زوايا أخرى كزاوية الحاج عبد العزيز بلخير مؤسس زاوية عين البيضاء بورقلة وزاوية الحاج الازهري ببلعباس مؤسس الجلفة وكذلك مصطفى بن عزوز مؤسس زاوية نفطة بتونس، وقد وصل عدد الأخوان الى 1600 خوني، والزوايا التابعة اليها 17 زاوية، وقد ترك الشيخ آثاراً في شكل مخطوطات ورسائل.

- **زاوية الشيخ المختار بن خليفة بن عبد الرحمان بأولاد جلال:**

ولد المختار بن خليفة بن عبد الرحمان الجلالي حوالي 1202هـ الموافق 1788م، وتوفي 1277هـ الموافق 1860 م، ودفن بزاويته التي اسسها في بداية القرن 19 بعدما انتقل من سيدي خالد الى أولاد جلال في 1815م، هذه البلدة تبعد عن بسكرة 100 كم، وقد ساهم عبد الحفيظ الخنقي في تخطيط بناء الزاوية المختارية بناءا على توجيه الشيخ ابن عزوز[3]، ولها مجهود جبار في نشر التعليم والتصوف بالمنطقة، حيث تعرضت

[1] أبو القاسم سعد الله، التاريخ الجزائري الثقافي، مج2، مرجع سابق، ص217-215

[2] عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلواتية، الوليد للنشر، الجزائر، 2004، ص 151

[3] محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية، مرجع سابق، ص 104

للقصف على يد هيربيون خلال أحداث ولاد جلال 1847، وكانت ملجأ للثوار وساندت ثورة الزعاطشة 1849م، وقد اخذ محمد بن ابي قاسم مؤسس زاوية الهامل ببوسعادة الاجازة منها، وحتى زاوية الشيخ عيطة بالجلفة، ولها من الاتباع حوالي ثمانية آلاف مريداً.

- **زاوية الشيخ الصادق بن رمضان بسيدي بركات:**

صاحب زاوية سيدي بركات الرحمانية بمدينة بسكرة القديمة هو الشيخ سيدي محمد الصادق بن رمضان الذي ولد 1799م، وتتلمذ على يد الشيخ ابن عزوز مع علي بن عمر وعلي بن الجروني والمختار الجلالي والصادق بن الحاج وسيدي مبارك بن خويدم، وأتم العلم الصوفي والتربية على يد عبد الحفيظ الخنقي بخنقة سيدي ناجي، وزاد في بناء زاوية ابيه التي يعود تأسيسها الى 1766، وبعد احتلال فرنسا بسكرة 1844 دعم المقاومة بجمع السلاح والدعاية فعوقب بالنفي الى بلدة البرانيس ثم الى حمورة، وتوفي في 1867م فحمل ودفن بزاويته بسيدي بركات التي مزالت قائمة الى اليوم بمدينة بسكرة القديمة.[1]

- **زاوية علي بن الجروني بسيدي خالد:**

صاحب الزاوية هو الشيخ علي بن الجروني، ويعتقد انه ولد أواخر القرن الثامن عشر وتوفي حوالي 1859 حسب أشهر الروايات[2]، تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عزوز الى جانب علي بن عمر وعبد الحفيظ الخنقي والمختار الجلالي ومبارك بن خويدم وغيرهم، وأسس زاويته ببلدة سيدي خالد حيث الولي الصالح خالد سنان بحي الغرابة بالبلدة

[1] في زيارة الى مقر الزاوية ولقاء القائم عليها الحاج عبد الحفيظ رماضنة وهو احد احفاد الشيخ، 2021/12/28
انظر ايضا عباس كحول زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد، مديرية الثقافة، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين (د–ت)، ص77

[2] محمد العربي حرز الله، مرجع سابق، ص 105

القديمة التي تبعد عن بسكرة حوالي 110 كم، ومزالت قائمة الى يومنا هذا تقوم بدورها في نشر العلم وتحفيظ القرآن.[1]

[1] مؤيد صلاح العقبي، مرجع سابق، ص 274

خاتمة

خاتمة

بعد دراسة موضوعنا الموسوم بالحياة العلمية والثقافية في اقليم الزيبان خلال العهد العثماني في الفترة الممتدة من 1519 الى غاية 1830، مع أننا لم نستطع ان نعطي الدراسة حقها مع استوفاء شروطها وتغطية كل جوانبها، لكننا في الأخير توصلنا الى مجموعة من النتائج، نذكر منها:

لقد كانت رحلات وبعثات المستكشفين والجغرافيين الغربيين نحو الصحراء الجزائرية عامة ومنطقة الزيبان خاصة لها ابعاد متعددة إلا أنها امدتنا بالكثير من المعلومات والحقائق عن هذه المنطقة تتضمن التقسيمات وطبيعة الجغرافيا في اقليم الزاب، وهذا مانجده مثلا في دراسة المشير دوك دي دوماس.

كما تتضمن هذه الدراسة الأحوال المعيشية والفئات الاجتماعية.

كما لعبت الخصائص في منطقة الزيبان دوراً هاماً في وجود حياة اجتماعية محلية تميزت بمجموعة من الطقوس والعادات والتقاليد حيث كانت الحياة التقليدية التي تتميز بالبساطة، وانحصر تفكير السكان في توفير الضروريات من مأكل وملبس، وأيضاً تطرقنا الى اجراءات الزواج ومختلف المناسبات الاجتماعية التي عرفتها المنطقة، بالاضافة الى الحيوية التي تعكس على حياتهم في المواسم والأعياد والتي تضفي على حياتهم بعض التسلية والترفيه والفرحة.

كما عرفت منطقة الزيبان مظاهر ثقافية مختلفة ساهمت في اثراء الحياة الثقافية للمنطقة، ويتجلى ذلك في اهتمام السكان ببناء المساجد والمدراس القرآنية، واهتمامهم بالعلم خاصة ان المؤسسات التعليمية في تلك الفترة، بالاضافة الى انها اشتهرت بمجموعة من العلماء الأجلاء الذين ساعدوا في نشر العلوم والمعارف من خلال مؤلفاتهم، كما ساعدوا على ترسيخ تعاليم

الاسلام، وتثبت قواعده، كما كانت معبر للرحلات العلمية ومركز اشعاع للزوايا، حيث كانت منطقة الزيبان مركز للعلم والعلماء.

حيث كانت منطقة الزيبان مركز للعلم والعلماء، واضافة لذلك تنوع الفنون التي ساهمت في تكون ثقافة محلية خاصة ميزته عن غيره من المجتمعات.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: سورة الكهف _ سورة التوبة

أولا: المصادر باللغة العربية

1- ابن الاثير , الكامل في التاريخ , مج 3 تح : ابي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلميه بيروت لبنان ط : 1407 هـ _ 1987م

2- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ج6 ، تح: خليل شحادة دار الفكر، بيروت ط2 / 1408هـ1988م

3- ابو عبيد الله البكري المسالك والممالك ،ج1 تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت 1983م.

4-احمد بن خالد السيلاوي، استقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ،ج1، (د.س.ن) د.ط

5- الحموي ياقوت معجم البلدان، مج 3 دار صادر ط1 لونين بيروت 1993 ط2 لونين بيروت 1995

6- الدرعي ابو العباس احمد بن محمد بن ناصر الرحله الناصرية (1709_1710م) تح،تق :عبد الحفيظ ملوكي دار السويدي، الامارات العربيه المتحدة ط1 2011م -6 الحموي ياقوت المشترك وضعا والمفترق صقعا ط2 ، دار عالم الكتب ، بيروت ، 1986م

7- مارمول كاريخال افريقيا ج3،تر: محمد حجي، احمد توفيق، محمد الاخضر ، مكتبة المعارف، الرباط،1408 _1409هـ/ 1988_1989م .

8-محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس مكتبه لبنان ،ساحة رياض الصلح، ط1 1975م. /ط2 1984م .

9- الورثيلاني حسين بن محمد الرحلة الورثلانية (نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار) مطبعه بيير فونتانا الشرقيه في الجزائر 1326ه/ 1908م

10- الوزان حسن، وصف افريقية ج2، ترجمة محمد الاخضر، محمد حجي دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان (د.س.ن)

ثانيا :المراجع باللغة العربية

1. ابو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي 1830م _ 1954م ج3، دار الغرب الاسلامي، بيروت .1998م
2. أبو القاسم سعدالله تاريخ الجزائر الثقافي 1830م_ 1954م ج5، دار الغرب الاسلامي (د.ب.ن) 1998م
3. أبو القاسم سعدالله تاريخ الجزائر الثقافي ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998
4. أبو القاسم سعدالله تاريخ الجزائر العام ج2، دار الغرب الاسلامي بيروت (د.س.ن)
5. احمد خمار، تحفه الخليل في نبذه من تاريخ بسكرة النخيل، دار الهدى للطباعه الجزائر، 2012م
6. احمد طالب الابراهيمي، اثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج4 دار الغرب الاسلامي، بيروت ط1، 1997م
7. احمد محمد ابو شنار: اهمية المساجد في الاسلام، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، 2019م .
8. احميده عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى للطبع والنشر، ميلة، 2004م.

9. اسماعيل العربي الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنيه للكتاب، الجزائر 1983م

10. أندري جيد رحله الى شمال افريقيا تر: محمود عبد الغني دار توبقال (د.ب.ن) 2012م

11. بن عثمان بن عبد الرحمن بن الحاج بن سيدي علي، الدر المكنوز في حياه سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز، مطبع النجاح قسنطينة، (د.س.ن)

12. حسني مختار، حواضر والامصار الاسلامية الجزائرية ج5، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م

13. حسين مؤنس المساجد، عالم المعرفه، صدرت السلسله في يناير 1987 اشراف العدواني، 1923-1990م.

14. الحسيني علي رضا، شيخ العلماء الصالحين محمد بن عزوز، الدار الحسينية للكتاب، ط 1422هـ_ 2001م

15. حياه بزيو، المراه والشعر في سيدي خالد، دار اجنحه للنشر والتوزيع، (د.ب.ن) 2017م .

16. الزاب المصطلح والدلالات، دار علي بن زيد، حي المجاهدين بسكرة، الجزائر ط1، 2013م

17. سجل صالح باي للاوقاف 1771 -1792 تق: فاطمة الزهراء دار بناء الدين للنشر والتوزيع الجزائر 2009

18. صالح فركوس، تاريخ الجزائر الثقافي من العهد الفينيقي الى نهايه الدوله الزيانية، ج1 مديريه النشر، جامعة قالمة2011م .

19. صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفيه والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق للنشر والتوزيع، بيروت (د.س.ن)

20. صيد عبد الحليم، معجم اعلام بسكرة، دار النعمان، الجزائر،2014 م.

21. عبد الباقي مفتاح: أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2009 م.

22. عبد الحليم صيد، ابحاث في تاريخ الزيبان ط1، مطبعه الوادي، الوادي، 2000م

23. عبد الرحمن الجيلالي تاريخ الجزائر العام، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزيةبن عكنون، الجزائر، ط7، 1994م .

24. عبد الله ركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز ج1 د.ط دار الحكمة، 1999م .

25. علاقات الشرق الجزائري بتونس اواخر العهد العثماني وبدايه الاحتلال الفرنسي دار البعث قسنطينه(د.س.ن)

26. علي محمد الصلابي الدوله العثمانيه من النهوض واسباب السقوط دار التوزيع والنشر الاسلامية، مصر ط1، 2001م .

27. عمار عمورة، نبيل دوادة الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة ج1 مر: عبد العزيز بوشقرون دار المعرفة، الجزائر، 2009

28. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر مؤسسة هنداوي للتعليم الثقافة، القاهرة، 2012م.

29. فوزي مصمودي، العلامه الموسوعي عبد الرحمن الاخضري 1514م-1575 شخصيته ومواقفه واثاره د.ط، موفم للنشر، الجزائر 2008م.

30. الفيروز ابادي القاموس المحيط مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط5 دار صادر، بيروت 1996م

31. كحول عباس، زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد، دار علي بن زيد للطباعه والنشر، بسكرة الجزائر، 2013 م.

32. محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، منشورات وزارة الثقافة، 2005م

33. محمد حليس، محمد العربي حرز الله، مقومات ثقافيه وافاق سياحية تاريخ ثقافة سياحة دط، الرياضي (د.ب.ن) 2009م.

34. محمد صالح لونيسي، الاوراس تاريخ وثقافة دار الطبع العصرية (برج الكيفان) الجزائر ,2007م

35. المشير دوك دي دوماس، الصحراء الجزائرية تر: قندوز عباد فوزية، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م

نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائريه ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت، 2000م نعاس علي، عبد القادر زياني، تنبيه الاحفاد بمناقب الاجداد بمنطقة الجلفة وضواحيها، دار الكتاب الحديث، ط1424 هـ /2004م

36. وزاره الثقافه، بسكرة اسوار من الحضارة، الجزائر، (د.س.ن)

المقالات :

1. الامير بو غدادة، دور الاخوان الرحمانين في المقاومة منطقه زيبان خلال القرن 13هـ /19م، مجله علوم الانسان والمجتمع، عدد1، جوان 2015، جامعة بسكرة.

2. بوخليفي قويدر جهينة، بن ميسي، احسن تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفظة_ الزيبان _قصر طولقة نموذج، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 44 ,جوان 2016 م .

3. هرباش زاجية، الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين، دوماس نموذجا، مجلة عصور الجديدة، العدد 6، العدد خاص بخمسينية الاستقلال، ربيع1433هـ /2012م

4. يوسف بن حسين خنفر، العلامه محمد الصغير الاخضري البسكري " حياته اثاره" جامعه ورقلة، (د.س.ن)

الملتقيات:

1. سعدي شخوم " صورة بسكرة في كتابات الرحالة الانجلوسكسونيين نهاية القرن 19 م وبداية القرن العشرين " محاضرات الملتقى الثالث عشر (بسكرة عبر التاريخ) بسكرة بعيون الرحاله الغربيين، دار الثقافه احمد رضا حوحو بسكرة، 22-23-24 ديسمبر 2015م الجمعية الخلدونية 2018 م.
2. الطيب كريم " بلده خنقة سيدي ناجي حاضرة من حواضر الزاب الشرقي " الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقه الزيبان، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة ايام 23-24-25-26 ديسمبر 2014م، الجمعية الخلدونية، 2017م .
3. عبد العالي يعقوب " بلدة اوماش حاضرة تقاوم الطبيعة والنسيان" الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) نواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان، الثقافه احمد رضا حوحو بسكرة، ايام 23-24-25-26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017م.

قائمة المقابلات :

1. مقابلة شخصية، زهرة عون (1929العامرة) بزريبة حامد بتاريخ 10 جوان2021م
2. مقابلة شخصية، علي أفرن (13 جانفي 1931 تاجموت) زريبة الوادي، 15 أفريل 2021م

المصادر باللغة الفرنسية:

1. Félix Hautfort, Au pays des palmes Biskra, 1897
2. R.B, Description de l'État d'Alger, de ses dépendances, de ses villes principales, de ses sports, et généralement de tout ce qui compose cette régence barbaresque, de Pierret (Metz), 1830, Bibliothèque nationale de France
3. Shaw Thomas, Voyage dans la régence d'Alger, Traduit de l'anglais par Mac Carthy, Paris, 1830, Bibliothèque nationale de France

المصادر باللغة الانجليزية:

1. S.H, Leeder, The desert gate.Biskra and therabouts, London, 1910

الفهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء	
مقدمة	**أ**
الفصل الأول	**9**
المبحث الأول: منطقة الزيبان قبيل العهد العثماني	**11**
المطلب الأول: جغرافية منطقة الزيبان	**11**
المطلب الثاني: لمحة تاريخية عن منطقة الزيبان	**16**
المبحث الثاني: خصائص منطقة الزيبان	**19**
المطلب الأول: تقسيم منطقة الزيبان	**19**
المطلب الثاني: مدن منطقة الزيبان	**22**
الفصل الثاني	**28**
المبحث الأول: الحياة العلمية في اقليم الزيبان	**30**
المطلب الأول: التعليم في اقليم الزيبان 1519-1830	**30**
المطلب الثاني: المساجد والكتاب وطريقة التعليم	**33**
أهم المساجد بمنطقة الزيبان	**34**
المبحث الثاني: الحياة الثقافية في اقليم الزيبان	**36**
المطلب الأول: العادات والتقاليد في اقليم الزيبان	**36**
الاحتفالات الدينية	**36**
الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية	**40**
الممارسات والانشطة اليومية	**44**

المطلب الثاني: الفنون في منطقة الزيبان	47
الفنون الشعبية	47
الفصل الثالث	53
المبحث الأول: العلماء في اقليم الزيبان	55
المطلب الأول: المؤثرات العلمية في اقليم الزيبان	55
المطلب الثاني: علماء الزيبان	59
المبحث الثاني: الزوايا في اقليم الزيبان	69
المطلب الأول: ظاهرة الزوايا في اقليم الزيبان	69
انتشار الطرق الصوفية والزوايا	71
المطلب الثاني: الزوايا في الزيبان	72
خاتمة	76
المصادر والمراجع	79
الفهرس	86

الملاحق

الملحق رقم 1 : صورة توضح لباس تقليدي للرجل

Rivére thérèse Aures, Algérie 1935-1936, Edutions

De la maison des sciences de l’homme, paris 1987. P : 18 المصدر:

الملحق رقم 2: صورة توضح لباس رجالي "سروال عربي " " طربوش"

المصدر: عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1 ,دط,دار ابن زيد للطباعة و النشر (بسكرة-الجزائر) د.س.ن ص 82

الملحق رقم 3: صورة لموكب عروس في احدى نواحي الزيبان

المصدر: Rivére thérèse op_cit, p 99

الملحق رقم 4: صورة لعرس في مدينة بسكرة " ركابية العروس "

المصدر: عبد القادر بومعزة مرجع سابق , ص 82

ملحق رقم 5 : صورة توضح عملية ختان يقوم بها الطهار

المصدر : Rivére thérèse op_cit .p 106

الملحق رقم 6: صورة توضح اللباس والحلي تقليدي للمرآة

المصدر:

Yomme keeissherzig exposition a l institut de monde arabe biskra soLingé d'un oasis 27 Sptember 2016 Janvier 2017 ; P 5

الملحق رقم 7: صورة توضح طريقة طبخ تقليدية

المصدر : Rivére thérèse op_cit, p 57

الملحق رقم8: صورة توضح طريقة تجفيف اللحم «القديد "

المصدر : Rivére thérèse op_cit, p 61

قائمة المختصرات:

- تر: ترجمة
- تح: تحقيق
- م: ميلادي
- ه: هجري
- ع: عدد
-ج: جزء
- ص: صفحة
- د.ب.ن: دون بلد نشر
- د.س.ن: دون سنة نشر
- د.ط: دون طبعة

- P: page
- ibid : même auteur et même référence
- op_cit : oprato citata